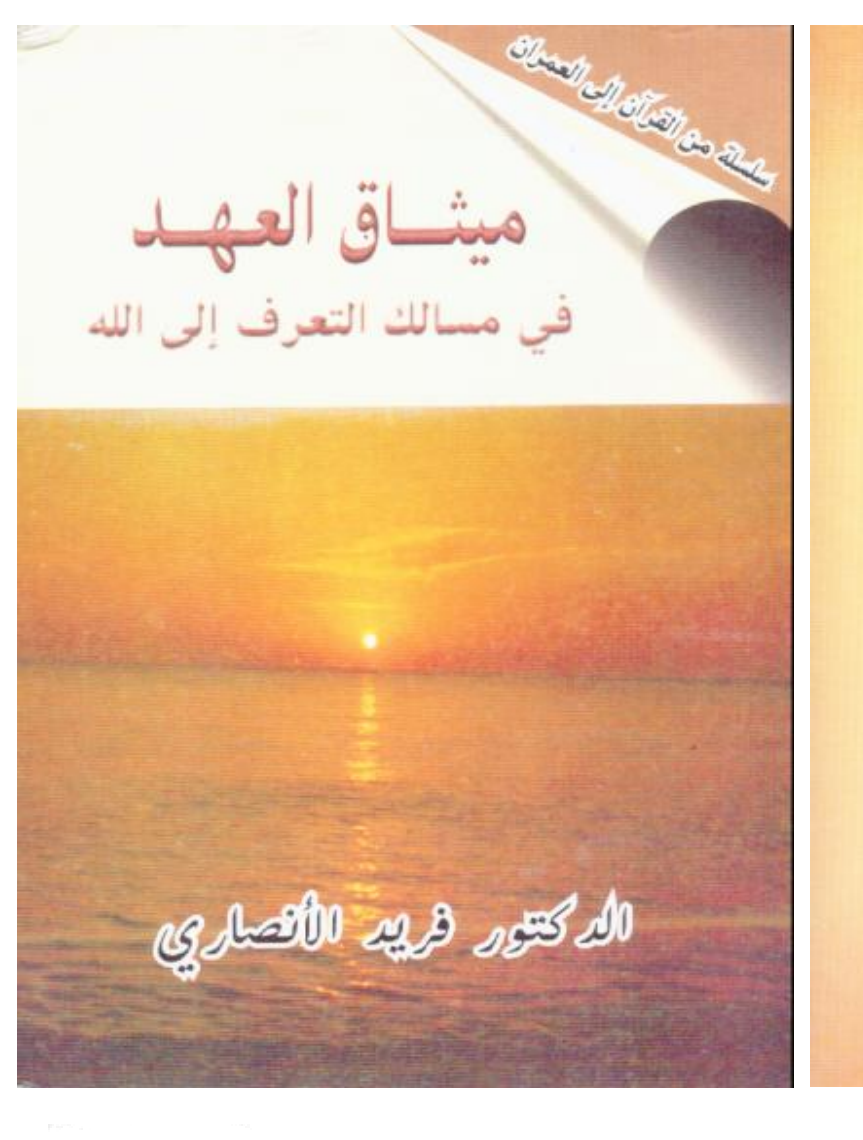


فيا أيها العبد الحائر الحزين!.. ذكر الله هو باب الفَرَج!

تلك هي البصيرة الأولى التي أهديك بين يَدَيْ هذه الورقات! ولك أن تشاهد شعاعها الرقراق بنفسك إن شئت!

فاخْرُجْ أولا من ظلمات ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً﴾ (الكهف: 101) وادخُلْ بصيرة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(ق:37).

فأيقظ قلبَك! وألْقِ سمعَك! ثم شاهد معي! فإنما كلمات هذه الرسالة مشاهدة!

استعد -أولا- لتلقي آيات القرآن كلاما من عند الله رب العالمين!

ثم انظر إلى مشرق النور.. هذا رسول الله ﷺ ينتصب بين يديك إماما معلما ومربّيا، يلقي كلمات النبوة بلاغا عن الله! فتأدب بأدب مجالس النبوة وأنصت!

اقرأ وتدبر! ثم أبصر!.. تلك كلمات البدء، فخذ لها الآن فترة للتدبر والتفكر؛ حتى تستطيع الحضور، وتكون من المبصرين!

مطبعة أنفو-برينت
Imp. Info-Print
Tél / Fax : 055 64.17.26 - Fès

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رب العزة جل جلاله:

﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(المائدة:7)

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾(الرعد:25).

وقال رسول الله ﷺ:

(تَعَرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّة!)(1)

(1) رواه أبو القاسم بن بشران في أماليه عن أبي هريرة مرفوعا، ورواه الطبراني عن ابن عباس. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير:2961.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى: وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد؛

فيا أيها العبد الحائر الحزين!.. ذِكْرُ الله هو باب الفَرَج!

تلك هي البصيرة الأولى التي أهديك بين يَدَيْ هذه الورقات! ولك أن تشاهد شعاعَها الرقراق بنفسك إن شئت!

فاخرُجْ أولا من ظلمات ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ (الكهف:101) وادْخُلْ بصيرة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(ق:37).

فأيقِظْ قلبَك! وأَلْقِ سمعَك![1] ثم شاهد معي! فإنما كلمات هذه الرسالة مشاهدة!

استعد - أولا- لتلقي آيات القرآن كلاما من عند الله رب العالمين!

ثم انظر إلى مشرق النور.. هذا رسول الله ﷺ ينتصب بين يديك إماما معلماً ومربِّياً. يلقي كلمات النبوة بلاغا عن الله! فتأدب بأدب مجالس النبوة، وأنصت!

اقرأ وتدبر! ثم أبصر!.. تلك كلمات البدء، فخذ لها الآن فترةً للتدبر والتفكر؛ حتى تستطيع الحضور، وتكون من المبصرين!

[1] - إلقاء السمع: الإنصات الكامل الشامل؛ بما يتضمن المشاهدة القلبية، كما سيأتي بيانه بحول الله.

فإذا كنتَ جاهزا فلنبدأ معا قصة السير إلى الله:

انظر إلى الأرض كيف تجري في دورها بين دفتي الليل والنهار، تسير إلى محطتها الأخيرة!

نحن هنا مسافرون كرها لا طوعا! عمرك المحدود بأجله هو مدة الرحلة! رحلة ليس بيدك توقيت انطلاقها، ولا موعد وصولها.. وليس بيدك إيقاف السير ولا لثانية واحدة! هل تستطيع إيقاف الأرض عن الدوران؟.. الأرض غاربة حتما يا صاح! والعمر راحل لا يستشيرك! فتأمل! ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾(الانشقاق:6). فإما لقاء المحبين؛ وإما لقاء المحاربين!

نعم، أنت راحل لا اختيار لك! ولكن لك أن تختار الاتجاه، ما بين معارج الدرجات ومهاوي الدركات! أي ما بين طريق العالم العُلْوِيّ، وطريق العالم السفلي! فالأرض تدور بين شروق وغروب. وإنما السعيد من حوَّل الاتجاه إلى مشرق النور، حيث الخلود الجميل.. فإذا السفر يتحول من وحشة مظلمة إلى أنس عظيم بالله! ذلك طريق النور، فافتح عينيك، وتدبر، ثم أبصر! فإنما هو: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(النور:35). فاحرص أولا على تحديد الاتجاه!

أما سلوكه فيكون بثلاثة أسباب تدخل أبوابها، وثلاثة موانع تقطع حبالها!

فأما الأسباب فهي: الدخول في التقرب، وتذوق المحبة، وطلب الولاية. وبعضها وسيلة لبعض، ومحطتها الأخيرة على باب الفردوس الأعلى! فما كان لمن تقرَّب إلا أن يحب، وما كان للمحب إلا أن يكون محبوبا، وما كان للمحبوب إلا أن يكون وليا! وهنالك ينتصب حصن الله الحصين لوليه المحبوب، تسديدا وتأييدا، مَنْ قَصَدَهُ بالأذى -يا وَيْلَهُ! - كان من الهالكين! تلك خلاصة حديث الولاية القدسي، الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه، قال ﷺ: إن اللّه تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب! وما يتقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا

أحببته كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويدَه التي يبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه! [2]

أما كيف تتقرب؟ وكيف تتذوق المحبة؟ لتكون منهم؛ فبيانه رهين بمتابعة خطوات الرحلة بهذه الرسالة، في قصة التعرف إلى الله. فلنتقدم!

أما الموانع فحبال تشدك إلى ثلاث فتن: فتنة النفس، وفتنة الشيطان، وفتنة الزمان. فللنفس أهواء تؤججها الشهوات، وللشيطان وسوسةٌ لا تخنُسُ إلا بذكر الله! وللزمان ظلماتٌ يبوء بها الإنسان؛ بما عَبَدَ من الهوى، وبما وسوس إليه الشيطان!

2- رواه البخاري

ولفتن هذا الزمان خصوصٌ رهيب! فهل بقي شك في أننا نعيش الآن زمان تتابع الفتن، وتواتر المحن؟على ما ورد في قول رسول الله ﷺ: تكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم! يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا! ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا! يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا! [3]

وهل بقي شك في أنه قد أطلت فتن بأعيانها وبأسمائها، كما هي في حديث رسول الله ﷺ، من مثل (فتنة القَطْر) المذكورة فيما رواه أُسَامَةُ بن زيد ﷺ: (أَنَّ النَّبي ﷺ أَشْرَفَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِ

3- رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: 2993.

الْمَدِينَةِ[4]. ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِنِّي لأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلاَلَ بُيُوتِكُمْ؛ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ»!)[5].

لقد أبصر النبي ﷺ بعين الغيب -مما علمه الله- صورةً من الفتن النازلة بالناس، من بعده ﷺ. فشبَّهها بالمطر، إذ يعم بسقوطه كلَّ شيء من البلاد والعباد! ورغم أن بعض شُرَّاحِ الحديث قد حققوا مناطه - اجتهادا - على فتنة الصدر الأول، من القرن الأول الهجري، وأوَّلوه بها؛ إلا أن الأمر يبدو أكثر انطباقا على زماننا هذا! فالتعبير هنا في

4- الأُطُم: بضمتين، هو: كل حصن مبني بحجارة على هيئة مربعة، جمعه: آطام. وقد كانت هناك في عهد النبي ﷺ آطام بضواحي المدينة لحراستها.

5- متفق عليه.

هـذا الحديث النبوي دقيق جدا! وعجيب جدا! وهـو أشبه ما يدل على الخيوط الأثيرية لأجهزة الإعـلام المرئـية والمسـموعة، كالفضـائيات، والأنترنيت، والهواتف الجوالة، ونحو ذلك مما يبث في الفضاء، ثم ينزل عبر الأقمار الاصطناعية على كـل البيوت، وعلى كل العمران البشري في البر والبحر، وسائر الفلوات، تماما كنزول المطر! على حـد تعبير الـنبي ﷺ: إِنِّي لأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِـلاَلَ بُيُوتِكُمْ، كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ! فمن إذن، ينجو مـن فـتن كهذه؟ كيف وهي تهطل على الناس كهطول المطر؟ إن لم يصبك قَطْرُه، أصابك وَحَلُه! وإن لم يصبك من عَلٍ؛ أصابك من جانب، بل حتى من أسفل! مهما بالغت في الاحتراز والاحتياط!

ومن مثل فتنة (الأَحْلاس)، وفتنة (السَّرَّاء)، وفتنة (الدُّهَيْمَاء)، وكلها مذكورة في حديث النبي ﷺ، الـذي رواه ابن عُمر قال: (كُنَّا قُعُوداً عِنْدَ رَسُـولِ اللهِ ﷺ فَذَكَـرَ الْفِتَنَ، فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا، حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الأَحْلاَسِ[6]، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا فِتْنَةُ الأَحْلاَسِ؟ قَالَ: هِيَ هَرَبٌ وَحَرَبٌ! ثُـمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ[7]: دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِـنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي! وَإِنَّمَا

[6] - الأحـلاس: جمـع حِلْس، وهو لباس الدواب المركوبة من الإبـل والخـيل ونحوها، مما يوضع تحت الرِّحَال. وهو في هذا الحديث كناية عن كثرة الجيوش والمقاتلين!

[7] - السراء: هي ما يَسُرُّ الناس ويُفْرِحهم. والمقصود هنا أنها تسر الـناس بظاهرها لا حقيقة، وإنما هي تستدرجهم بذلك إلى شر عظيم، والعياذ بالله!

أَوْلِـيَائِي الْمُـتَّقُونَ. ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ[8]. ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ[9]: لا تَدَعُ أَحَـداً مِـنْ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلاَّ لَطَمَتْهُ لَطْمَةً! فَإِذَا قِيلَ انْقَضَتْ تَمَادَتْ! يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً! حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطِ إِيمَـانٍ لا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لا إِيمَانَ فِيهِ!

[8] - الـوَرِكُ: هـو مؤخرة الإنسان مما يكون عليه الجلوس من مقعدته. والضِّلَعُ: هو عَظْم الصدر. والمقصود أن الناس في العالم بعـد حرب واقتتال يصطلحون على أن يخضعوا لحاكم معين، يجلس على كرسي أعوج كالضلع؛ كناية على هشاشة الاتفاق، وبذلك لا يدوم أمن الناس إلا قليلا، حتى ينقلب عليه بعضهم؛ فتنطلق الفتن مرة أخرى!

[9] - الدُّهَيْمَاء: تصغير دَهْمَاء، وهي الظلمة الشديدة. كناية عن خطورة تلك الفتنة وفظاعتها.

فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنْ يَوْمِهِ أو من غـده!)[10] فالفتنة الأخيرة من هذه الفتن المتعاقبة الـتي سماهـا رسول الله ﷺ بالدُّهَيْمَاء؛ كناية عن شدة ظلمتها واسودادها، وانتشار بلائها، هي فتنة تسـتمر زمنا طويلا: ما شاء الله! وهي فتنة عامة شـاملة، لا تدع بادية ولا مدينة، ولا دولة، ولا إنسـانا، مـن هـذه الأمة الإسلامية؛ إلا أصابته بصورة أو بأخرى - والعياذ بالله - إصابة مؤذية مؤلـمة! ولذلك قال: (لا تَدَعُ أَحَداً مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلاَّ لَطَمَـتْهُ لَطْمَةً)! وأنت إذ تقرأ هذه الأحاديث كلها -مما سبق ومما سيأتي- تجد أنها تجمع على هذا!

[10] - رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم. وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: 4194

النوع من الفتن العام الشامل الذي لا يمكن التحرز عنه! تماما كفتن الإعلام المحمل بالثقافات الغازية المدمرة، والملغم بريح العولمة اللاهبة! لا يكاد لهيبها يفتر فيظن الناس أنها خمدت؛ حتى تنطلق من جديد، في غزو جديد! تماما كتعاقب مراحل الاستعمار، بشتى أنواعه وصنوفه ومستوياته، في القرون الأخيرة من التاريخ الحديث لهذه الأمة!

ثم تتفتق عبقرية الشيطان اليوم عن أسوأ ما عرفته البشرية من الفتن! في اختراق الشعوب، وضربها في أخص خصائصها، وفي جوهر هويتها! فلا يسهل دفع مثل هذا البلاء؛ لطبيعته (العولمية) الشاملة: ثقافيا، واجتماعيا، واقتصاديا، وتقنيا،

وعسكريا! ولذلك قال الرسول ﷺ في وصف الدُّهَيْمَاء المذكورة: (فإِذَا قِيلَ انْقَضَتْ تَمَادَتْ! يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً!)

وهذا يؤدي - في نهاية المطاف- إلى افتراق الناس في العالم الإسلامي، إلى (فُسْطَاطَيْنِ) واضحين، أي: إلى طائفتين. كما في نص الحديث: حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لا إِيمَانَ فِيهِ! فماذا ينتظر المسلمون بعد ذلك؟ قال رسول الله ﷺ مجيبا في نهاية الحديث: فإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنْ يَوْمِهِ أو من غده! ذلك ما لا يراه الذين غشي الرَّانُ بصائرَهم! والرَّانُ: هو (رفت) الذنوب والآثام، وجرائم التمرد على الله العلي

العظيم، مما ذكره الحق سبحانه في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين:14)[11]. أما الذين يبصرون بنور الله؛ فهم يقرؤون علامات ظهور الدجال كما يقرؤون ما كتبوه بخط أيديهم!

ومن مثل ذلك ما ورد أيضا في قوله ﷺ: « ست من أشراط الساعة: موتي، وفتح بيت المقدس، وأن يُعْطَى الرجل ألف دينار فيتسخطها! وفتنة يدخل حرها بيت كل مسلم! وموت يأخذ

[11]- وقال النبي ﷺ في بيان ذلك (إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء! فإن هو نزع واستغفر وتاب؛ صقل قلبه. وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه! وهو الران الذي ذكر الله تعالى: "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون"). رواه أحمد، الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي. وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم: 1670.

في الناس كقُعَاصِ الغنم![12] وأن يغدر الروم فيسيرون بثمانين بندا تحت كل بند اثنا عشر ألفا![13].

فما هذه (العولمة) - التي تدمر البلاد والعباد اليوم! والتي هي ريح صهيونية في الصميم- إلا قطعة من فتن ذلك الليل، الموصوفة في الحديث السابق بأنها (كقطع الليل المظلم!)

إن الإنسان اليوم يفقد سكينة الإيمان، ويدخل في جحيم الحيرة، حيرة الضلال! لقد بدأت ريح العولمة فعلا تحتل الإنسان قبل احتلال

[12]- قُعَاص الغنم: بضم القاف، مرض يصيب الغنم فيمكنها إبادةً، بصورة مفاجئة!

[13]- رواه أحمد والطبراني، وصححه الألباني بصحيح الجامع الصغير، رقم: 3608.

الأوطان! فتجرده من كل قيم الدين، ومن كل مشاعر الخضوع لرب العالمين! إن فتنة هذا العصر تصنع الإنسان المتمرد على الله! هذا زمان إعلان الحرب على الله! فما ينتظر الإنسان غير غضب رباني شديد؟

إلا أن حديثنا ههنا عن الفتن ليس لذاتها، وإنما هو لبيان طريق المخرج منها. فقد كان بعض الصحابة يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ليتزودوا منه، وكان بعضهم يسأل عن الشر مخافة أن يدركه! والفقه في زماننا أن نسأل عن الخير الذي ينجي من الشر! وهو في الحقيقة موجود في المنهجين معا. فعن حذيفة بن اليمان ﵁ قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير،

وكنت أسأله عن الشر؛ مخافة أن يدركني! فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دَخَنٌ! قلت: وما دَخَنُه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر! قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاةٌ إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها! قلت: يا رسول الله! صفهم لنا! فقال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا! قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم! قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك

الفرق كلها! ولو أن تعض بأصل شجرة؛ حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك![14].

فهذه النُّذُرُ من ظلمات الفتن؛ بما هي علامات شر؛ هي كذلك علامات خير؛ لأن الله ما أباد جيلا إلا جاء بخير منه! قال عز وجل: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد:38) وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ. إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ!﴾ (الأنبياء: 105-106).

إن الواجب عليك أيها المسلم أن تبادر إلى الفرار إلى الله قبل فوات الأوان: (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ!

---

14 متفق عليه.

إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ)(الذاريات: 50). وإنما الفرار إليه يكون بالتعلق بكتابه العظيم: القرآن الكريم؛ على سبيل السلوك إليه تعالى - كما نبين بحول الله - لإدراك قوارب النجاة من فتن هذا الزمان! والوصول إلى بَرِّ الأمان من رضى الرحمن.

فاعلم إذن! أن فتنة هذا العصر هي بداية خير جديد، وإعلان لبزوغ عصر القرآن! وظهور بعثة التجديد! فإما أن تركب مع موكب الربانيين فتكون من الناجين؛ وإما أن تبقى مع المتخلفين؛ فتكون من الهالكين! وإنما (الربانيون) هم المتعلقون بالقرآن. قال تعالى: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران:79).

وفي قضية النجاة والهلاك، قال رسول الله ﷺ: أبشروا.. أبشروا.. أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا القرآن سَبَبٌ - أي: حَبْلٌ - طَرَفُه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبدا![15].

يا أيها الحيران!.. إن الله تعالى خلقك! فتذكر هذا جيدا! خلقك ولم تكن شيئا مذكورا! وبمقتضى ذلك تَرَتَّبَ على ذمتك حقٌّ عظيم! هو

[15]- رواه ابن حبان في صحيحه، والبيهقي في شعبه، وابن أبي شيبة في مصنفه، والطبراني في الكبير، وعبد بن حميد في المنتخب من المسند. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: 713. نشر مكتبة المعارف بالرياض، لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد. طبعة جديدة بتاريخ: 1415هـ/1995

حق الخالقية! فماذا أديت لله تعالى منه؟ ذلك هو السؤال الذي على الإنسان - كل إنسان: - أن يرجع إليه؛ ليبدأ مسيرة التعرف إلى الله!

أما أنت أيها المسلم؛ فباعتبار أنه تعالى جعلك (مسلما). وتلك نعمة أخرى أعظم وأكرم؛ فما عليك إلا أن تبادر إلى حمل رسالة القرآن، في زمان تخلى الناس فيه عن القرآن. يا ويلهم!

هذا هو (ذِكْرُ) هذا الزمان، زمان الفتنة الصماء البكماء! فتذَكَّرْ! ثم تذَكَّرْ! عسى أن تكون من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات!

من أجل ذلك؛ كتبت هذه الرسالة الصغيرة؛ عسى أن تكون نبراسا عَمَليا، ودليلا تطبيقيا. يتم

بمقتضاه عقد الميثاق على الخير، وإبرام العهد على الصلاح والإصلاح، وعزم القصد على الانطلاق سيرا إلى الله جل جلاله، عبر مدارج الإيمان إن شاء الله. وهي وإن كانت تفيد - من وجه - في بيان منهج التنزيل؛ فإنها لا تغني في بيان منهج التأصيل. إذ ليست موضوعة لذلك أصلا. وإنما ورد فيها من ذلك ما ورد تبعاً، لا أصالةً؛ إذْ هي أشبه ما تكون بالمذكرة التي يرجع إليها السائر إلى الله؛ لتبين الكيفيات، وتحقيق المناطات، وترتيب الأولويات، من حيث التطبيق والتنفيذ لخطوات الصلاح والإصلاح.

أما تأصيل النظر فقد فصلناه في كتابنا (البيان الدعوي)[16]، وأما تأصيل العمل فقد بيناه في (بلاغ الرسالة القرآنية). وإنما استخرجت منه بعض هذه الرسالة الصغيرة قصدا؛ لتكون - مع الإضافات - (آلة إجرائية)؛ لتصريف العمل الديني في الواقع الإنساني.

وقد كان الغرض من تقديمها؛ أن نعرض بلاغات الرسالة القرآنية في صورة عَهْد نُوَثِّقُهُ مع الله عز وجل، ومع صالح المؤمنين، عسى أن يكون ذلك حافزا على دوام المجاهدة والمصابرة والمرابطة، في طريق بعثة التجديد لهذا الدين، في أنفسنا، وفيمن حولنا من العالمين، نبقى على ذلك بحول

[16]- أرجو أن يطبع قريبا

الله حتى يأتينا اليقين! فنلقى الله - إن شاء الله - مقبلين لا مدبرين، ثابتين لا مبدلين ولا مغيرين. ذلك العهد وذلك ميثاقه.

ومن هنا جاءت هذه الرسالة -عدا تأصيل العهد وميثاقه، والثاني: في عهد الذِّكْر، والثالث: في عهد القرآن والقيام. ثم الرابع: في المختار من الأذكار.

والله الموفق للخير والهادي إليه.

وكتبه بمكناسة الزيتون فريد بن الحسن الأنصاري الخزرجي عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ولسائر المسلمين. الأحد: 21 ربيع الثاني 1424 هـ/ 2003/06/22م.

الفصل الأول: في تأصيل العهد وميثاقه

الميثاق في اللغة: العهد المُحْكَمُ. وميثاق العهد: إبرامه وإحكامه. قال عز وجل: ﴿الذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ (البقرة: 26). وفي اللسان: (الوَثاقة: الشيء الوَثيق المُحْكَم. والفعل اللازم. يَوْثُقُ وَثاقةً. والوَثاق: اسم الإيثاق، تقول: أوْثَقْتُه إيثاقاً ووَثاقاً. والحبل أو الشيء الذي يُوثَق به وِثاق، والجمع الوُثُق، بمنزلة الرِّباط والرُّبُط. وأوْثَقَهُ في الوَثاق أي شده (...) ووَثَّقْتُ الشيء تَوْثيقاً، فهو مُوَثَّق. والوَثيقة:

الإحكام في الأمر، (...) وقد أوْثَقَه ووَثَّقَه وإنه لَمُوَثَّقُ الخَلْق. والمَوْثِقُ والميثاقُ: العهد. (...)

والمُواثقة: المعاهدة، ومنه قوله تعالى: "وميثاقَه الذي واثَقكم به"(المائدة: 7) (...) والميثاقُ: العهد، مِفْعال من الوَثاق، وهو في الأصل: حبل أو قَيْد يُشدّ به الأسير والدابة)[17].

فالميثاق إذن: عَهْدٌ مُحْكَمٌ يشدك إلى الدين قولا وعملا، ويلزمك بما التزمت به. و تعبيرنا ههنا (بميثاق العهد)، إنما نقصد به: توثيق ما تبرمه مع الله عز وجل من التزام بأمور التكليف، ومن قيام بواجب البلاغ، و إحكامه على قواعد نلخصها فيما يلي:

[17]- لسان العرب: (مادة وثق).

اعلم - هداني الله وإياك - أن التوبة إلى الله عزيمة وإرادة، وأن النقلة من الصلاح إلى الإصلاح مرابطة ومجاهدة. فتمني الصلاح غير كاف للتحول إلى صلاح، وتمني الإصلاح لن يترتب عليه أي إصلاح! ولكن لابد لك من عزمة تعزمها، وعهد تقطعه على نفسك، وميثاق تبرمه مع الله، تُشهد عليه الله عز وجل، وتشهد عليه نفسك وصالح المؤمنين، الذين يُذَكّرونك إذا نسيت، ويساعدونك إذا فترت. وهذا المعنى متأصل في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

فاستقراء النصوص يفيد بأن كثيرا من جلائل الأعمال في الإسلام كانت تبنى على عهد، وتوثق بميثاق، يكون ربقة في عنق المسلم، فإما وفاء بعدُ

وإما نقضا! فالدين نفسه في كليته عهد: يوثقه المسلم بإقراره أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ﷺ. ومن هنا فقد كان رسول الله ﷺ يأخذ العهود والمواثيق من الناس، ويذكرهم بذلك إذا نسوا، أو فتروا. وربما اشترط على بعضهم في ذلك ما لم يشترطه على غيره. كما في الحديث المتفق عليه: عن جرير بن عبد اللّه ﵁، قال: (بايعتُ رَسُولَ اللّه ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم)[18]. وفي رواية لأحمد والطبراني بسند صحيح، أنه قال: (فاشترط علي: "والنصح لكل مسلم!" فورب الكعبة إني

18 – مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

لكم ناصح أجمعين!)[19]. وقيل لسلمة بن الأكوع ﵁: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال على الموت![20] وله صيغة أخرى أبين، وهي: عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة ﵁قال: بايعتُ النبيﷺ ثم عدلت إلى ظل الشجرة، فلما خف الناس قال: يا ابن الأكوع ألا تبايع؟ قال: قلت: قد بايعت يا رسول الله! قال: وأيضا! فبايعته الثانية. [قال يزيد:] فقلت له: يا أبا مسلم، على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ؟ قال: على الموت![21].

19 – رواه أحمد والطبراني بسند صحيح.

20 – متفق عليه

21 – متفق عليه

والمقصود بالبيعة على الموت إنما هو عدم الفرار في الحرب! لقول البخاري في كتاب الجهاد، في ترجمة: (باب البيعة في الحرب أن لا يفروا وقال بعضهم على الموت). وقد جاء مفسرا في حديث معقل بن يسار ﵁،قال: لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس، وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه، ونحن أربع عشرة مائة. قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر[22]. وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بل بايعهم على الصبر[23]. وكل ذلك إنما هو تفسير لما قصده سلمة بن

22 – رواه مسلم.

23 – رواه البخاري.

الأكوع من أنه بايع النبيﷺ على الموت، ولا تعارض بين الحديثين كما قال ابن حجر.

ولذلك وُجِد من بايع النبيﷺ أكثر من مرة - كما هو ظاهر الأحاديث المذكورة وغيرها - تكون البيعة الأولى هي بيعة الإسلام، ويكون ما بعدها على بعض جلائل الأعمال. وإنما المقصود بالبيعة على هذا المعنى الثاني: إبرام عهد مع الله على عمل معين سواء كان مؤقتا كما في يوم الحديبية الذي آل إلى الصلح، أو دائما كما في النصح لكل مسلم.

وقد أخذ رسول اللهﷺ من الأنصار (بيعة العقبة الأولى) و(بيعة العقبة الثانية)، وأخذ منهم ومن المهاجرين (بيعة الرضوان) يوم الحديبية: التي

نزل فيها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: 18). وكان رسول الله ﷺ يأخذ من المسلمين (بيعة الإسلام). وقد أخذها ﷺ من آحاد المهاجرين وجموعهم، كما أخذها من الطلقاء، ومن مسلمة الفتح عموما، ومن كل من وفد عليه مسلما؛ رجالا ونساء.

و(بيعة الإسلام) هذه هي التي جعلها الله نص امتحان المهاجرات، كما جاء في سورة الممتحنة، وكانت تسمى (بيعة النساء)، وذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ

وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الممتحنة: 12).

ثم جعل النبي ﷺ بعض أركان الإسلام علامات على استمرار العهد وعدم نقضه. فقال في الصلاة مثلا: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة!)[24].

24 – رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن بريدة وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: 4143. وتتمة الحديث: (فمن تركها فقد كفر) وقد علم أن ليس المقصود بالكفر هنا كفر الاعتقاد، وإنما هو الكفر العملي؛ الذي هو ضرب من العصيان المشابه لأعمال الكفار.

ومن هنا كان الدين ميثاقا وعهدا؛ فقد ألزم المولى جل وعلا الرسل والأنبياء بالميثاق الذي واثقهم به، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا. لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الأحزاب: 7–8). كما ألزم به أمة المسلمين فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(المائدة: 7). وقال سبحانه وتعالى مذكرا الناس أجمعين: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ. وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾

(يس: 60–61). وخاطب هذه الأمة في خصوصها فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: 34).

وذم من نقض العهد والميثاق فقال جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (الرعد: 25). فذلك كان سبب هلاك بني إسرائيل. قال عز وجل: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (المائدة:13).

العهد أو الميثاق، أو ميثاق العهد؛ باب عظيم من أبواب التوبة إلى الله عموما، ومدرج من

مدارج الدعوة، والسير إليه تعالى عبر مراتب الصلاح والإصلاح خصوصا. وعدم اكتراث المسلم به يقوده إلى الشرود بعيدا عن باب الله، بَلْهَ أن يكون من المصلحين! فالعهد هو أول مدارج السالكين، ومبتدأ منازل السائرين إلى رب العالمين.

ولقد جمعت لك أيها المحب معالم ذلك كله في كتابنا: (بلاغ الرسالة القرآنية، نحو إبصار لآيات الطريق). فبسطنا لك فيه منهجا تربويا، متدرجا، مؤصلا بأدلته وقواعده؛ في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. ولم نخرج بك في كل ذلك عن المعلوم من الدين بالضرورة؛ على ما رأيناه من منهجية تربوية، ومن رعي لميزان الأولويات

الشرعية، على ما يقتضيه تحقيق مناط الدين في الزمان والمكان.

وهذه رسالة مختصرة يسترشد بها أصحاب البدايات، ويتذكر بها أصحاب النهايات. ومن ذا يستغني عن ذكر الله، والسير إلى تحصيل رضاه؟

فلا بد لك أيها المحب لطريق النور، إن تجردت فعلا لبعثة التجديد والبلاغ القرآني؛ من أوراد عملية وقولية تربطك بميثاقك، وترسخ وفاءك لعهدك. تماما كما كان الأنبياء والصديقون، والربانيون المجددون. وإنما أولئك هم العاملون الذين تنتفع بهم الأمة. وأما القائلون وكفى؛ فهم في الناس كعد الحصى، ولكنهم غثاء كغثاء السيل!

وكما بُعثَ رسولُ الله ﷺ بالقرآن آيةً آيةً؛ بصائرَ للناس، وهدًى للعالمين؛ وجب عليك إذا تحققت عَزْمَتُك أن تنطلق بالقرآن، ومن القرآن، في بعثة التجديد آيةً آيةً! تتبصر وتُبصِّر، وتتعرف وتُعرِّف، وتترجم أخلاق النبوة حركةً فطريةً في المجتمع. حركة يكون المسجد مقرها، والقرآن العظيم دستورها والرسولﷺ رمزها وقائدها، والدعوة إلى الخير جهادها. بعيدا عن ضيق المنظمات، وأسْر الانتماءات!

وإنما ذلك هو من المعلوم من الدين بالضرورة كما ذكرنا. وذلك هو أساس الوِرْد التربوي لرسالة القرآن، فهل أخذت عليه عهدَك وعقدت عليه ميثاقَك؟ أم أنك تعرفه فقط كما

يعرف أهل الكتاب كتابهم، إذ طال عليهم الأمد؟ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد:16). ذلك المنطلق، إن أردت فعلا أن تسلك سبيل الصالحين المصلحين، وإنما الموفق من وفقه الله.

تبصرة: كيف توثق العهد؟

سل نفسك أولا:

هل حقا تريد البدء أم أنك تتمنى فقط؟ هل عزمت عَزْمَتَك لتوثيق التوبة، وإعلان الانطلاق في مدارج المجاهدة؛ سيرا إلى الله مع الصالحين المصلحين؛ أم أنك ما تزال مترددا بأحراج

الشيطان، سمّاعاً لوساوسه؟ لا يكون لك بَدْءٌ يا صاحبي، ولا لبدئك أثَرٌ، حتى تجيب نفسك عن نفسك! وتحقق ذلك معها، وتعرف بالضبط ماذا تريد!

فاحْسِمْ نيتَكَ في نفسك مع الله أولا! وإلا فلن تبرح مكانك! ولن تستطيع مغادرة طينك. وتبقى هنالك، وقد انطلقت قوافلُ الرُّكَّعِ السُّجَّد بعيدا، تضرب نحو باب الرضى الرباني العظيم! وخَلَّفَتْكَ وراءها وحيدا، ضالا بمتاهات الدخان، تدور في دَرَكِ الخطايا والآثام! وقد سبق المفرِّدون: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات!![25]

فأين أنت أيها المتمني؟

25– رواه مسلم

تلك قوافل المسترشدين الراشدين قد انطلقت، يقودها - إلى الله - محمدٌ رسول الله ﷺ، سائرا بكل مَنْ (مَعَه). وإنما معه الذين حققوا (المعية النبوية)! وهم أصحابه الميامين ثم تَبِعَهُم من إخوانه المُحَجَّلين! اقرأ هذه الآية البصيرة؛ لنقول لك بعدها كلمة! قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ. تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا. سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ. ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ. وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ. يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ

الْكُفَّارَ. وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح:29).

تَدَبَّر الآية كلها أولا! ثم خُصَّ بتدبرك عبارةَ: (وَالَّذِينَ مَعَهُ).. إنهم أهل (المعية النبوية) أهل (السِّيمَى)! والسيمى، أو السيماء: العلامة الدالة على معنى. فهم إذن: الربانيون، أصحاب علامة الرضى من أثر السجود!

وليست (المعية) ههنا هي المعاصرة الدنيوية. فقد عاصره كثير من الكفار والمنافقين. وكان المنافقون معه، لكن ليس بمعنى المعية النبوية الاتباعية! وإنما (مَعَهُ) الربانيون! ولذلك دخل في معنى الآية إخوانه أيضا. وإخوانه: هم كل من آمن به من أمته ﷺ ولم يره، وكان من الصادقين!

وذلك قوله ﷺ: وددت أني لقيت إخواني! قالوا: يا رسول الله، ألسنا إخوانك؟ قال: بل أنتم أصحابي! وإخواني: الذين آمنوا بي ولم يروني![26]

وفي رواية أخرى مفصلة قال ﷺ: وددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا: أوَ لسنا إخوانك؟ قال: بل أنتم أصحابي! وإخواننا: الذين لم يأتوا بعدُ. قالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ قال: أرأيت لو أن رجلا له خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ، بين ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ[27]، ألا يعرف خيلَه؟ قالوا: بلى! قال: فإنهم يأتون يوم القيامة غُرّاً مُحَجَّلين

26– رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: 7108.

27– غُرّ: جمع أغَرّ، والغُرَّة: بياضٌ على جبهة الحصان الأسود أو الأحمر، أو نحو ذلك من ذوات الألوان الداكنة من غير البياض. والتحجيل: بياض يكون على قدميه. والبُهْم: جمع أبْهَم، وهو في الخيل: الحصان ذو اللون الواحد، من حمرة أو سواد أو نحوهما، غير مشوب بشيء غير لونه ذاك. والدُّهْم: جمع أدْهَم، وهو ذو اللون الأسود الشديد السواد.

من الوضوء، وأنا فَرَطُهُم على الحوض! ألا لَيُذادَنَّ رجالٌ عن حوضي كما يُذادُ البعير الضال! أناديهم: ألا هَلُمَّ! ألا هَلُمَّ! فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك! فأقول: سُحْقاً! فَسُحْقاً! فَسُحْقاً! [28].

ذلك العهد! فذلك ميثاقه، وذاك نقضه!

هو عهد إذن؛ نقطعه على أنفسنا لله وحده، مخلصين له الدين إن شاء الله، سائرين إليه تعالى على طريق الإيمان رَغَباً ورَهَباً. معتصمين بكتابه وبسنة نبيه ﷺ استجابة لبلاغات القرآن العظيم، وقياما بأمرها. وأما باب الدخول إلى ذلك تطبيقا وتحقيقا؛ فهو أعمال وأقوال. وبيان ذلك هو كما يلي:

[28] - رواه مسلم.

الفصل الثاني: في عهد الذكر

نستهل هذا الفصل ببصيرتين من كتاب الله تعالى، لهما دلالة النور للقلب السالك في ظلمات الحيرة والتيه. فاقرأ وتدبر! ولا تعجل حتى تستكمل شعاع النور!

فأما أولاهما فهي قول رب العزة جل وعلا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال: 2). هذه بصيرة من بصائر القرآن، ذات مسلك عجيب في التعرف إلى الله. فاسأل نفسك أين أنت منها؟ أو - بعبارة

أخرى أكثر تفصيلا - اسأل: ماذا تعرف عن الله؟ وما منزلة قلبك بين الخوف والرجاء؟ فإما أن القلب ينعم بجمال (الوجل)، كلما استنار بجلال التعرف إلى الله؛ وإما: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ!﴾ (الزُّمَر:22).

وأما الثانية فهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف:36). وذلك طريق من لم يعرف نور الذِّكْر إلى قلبه مسلكا! فأنى يكون من المبصرين؟ ولك الآن أن تسأل: كيف الخروج إلى مسلك النور؟ كيف التخلص من غفلة العُشُوِّ عن ذكر الرحمن؟ ثم كيف يكون تحصيل القلب الوَجِل من ذكر الله؟

تبصرة: في أن الذِّكْرَ هو مسلك المُفَرِّدِين السابقين!

الذِّكْرُ هو مفتاح البصيرة! هل تريد أن تكون من المبصرين؟ هل تشتاق إلى مشاهدة الأنوار الربانية؟ وهي تتدفق من بصائر القرآن، لتشمل الكون كله! نعم؛ إذن اُذْكُر الله كثيرا! ولا حَظَّ في السبق إلى ذلك لمن غفل عنه! اقرأ هذا الحديث النبوي الشريف وتدبر! عسى أن تكتشف سِرَّ السير إلى الله.. قال رسول الله ﷺ: سَبَقَ المُفَرِّدُون! قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات [29].

[29] - رواه مسلم

وكيف لمن ذكره الله في ملئه الأعلى ألا يكون من السابقين؟ وإنما هو شرط واحد، وعهد واحد! ذلك قول الله تعالى في محكم القرآن العظيم: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة:152). وكانت مهمة موسى وأخيه هارون من أثقل العزائم في تاريخ الرسالات قبل نبينا محمد ﷺ! إنها دعوة فرعون! ذلك الطاغية الذي قال في الناس: أنا ربكم الأعلى! وإنما كان زاد موسى وأخيه في طريقهما إليه: ذكر الله! ومع ذكر الله يتضاءل الجبل حتى يكون مثل حصاة! قال عز وجل: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي. اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى. قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا

نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى. قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه:42-46).

إن المَعِيَّةَ الربانية كانت حاصلة مع الاستمرار في الذكر، وعدم الفتور منه: ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾! والمَعِيَّةُ كفايةُ الله العبدَ في الدنيا والآخرة! وإنما هي حال المقربين السابقين، من الملائكة والأنبياء والصديقين! ألم يقل عز وجل في حق الملائكة العِنْدِيَّة: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء:20). لا يفترون!

وهي معية تحبيب وتقريب، قال النبي ﷺ في الحديث القدسي: يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته

في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة [30]. فليس عبثا إذن؛ أن يكون الذِّكر أفضل - في بعض مراتبه - من إنفاق الذهب والفضة، بل من الجهاد في سبيل الله! وذلك نص الحديث العجيب الذي رواه الصحابي الجليل أبو الدَّرْدَاء ﵁، قال: (قالَ النبي ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعمالِكُمْ، وأَزْكَاها عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وأَرْفَعِهَا في دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قالُوا بَلَى، قال: ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى!» فقالَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ ﵁: ما

30- متفق عليه

شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ!)[31]. وهذه مرتبة خاصة من الذِّكر سيأتي بيانها بحول الله.

تلك هي القصة إذن! وتلك هي الطريق، فأين الذاكرون؟ أين حصتك من الذكر صباحا؟ وأين هي حصتك مساء؟ ألم يقل الله تعالى للمؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا. وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الأحزاب: 41-42) وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ

31- رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الترمذي: 139/3 وصحيح ابن ماجه: 316/2

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: 190-191). وما زال رسول الله ﷺ يوصي بالتزام الذكر ومداومته عسى أن يكون المؤمن من المتشبثين! فعَن عبد اللّه بن بُسْرٍ رضي الله عنه أنَّ رجلاً قَالَ: يا رَسُول اللّه إنَّ شرائعَ الإسلامِ قد كَثُرتْ عليَّ، فأخبرني بشيءٍ أتشبَّثُ به! قَالَ: لا يزالُ لسانكَ رَطْباً من ذكرِ اللّه[32]. هكذا (رَطْباً)، كأنما هو بَقْلَةٌ، أو زهرة، أو ثمرة، تستمد

32 - رواه أحمد والترمذي، و ابن ماجه وابن حبان والحاكم عن عبد الله بن بسر. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: 7700.

الماء من نبع دائم يفيض بالحياة! والذِّكر حياة الروح. وكأنما اللسان جذره الممتد إلى الغدير.

أين أنت يا أخي من ذلك كله؟ كلمة واحدة نقولها لك، فانظر ماذا ترى! كلمة واحدة ولن نزيد: (سَبَقَ المُفَرِّدُونَ!).. وإنما الحَكَمُ بين المتنافسين هو الطريق!

تبصرة: كيف نذكر الله؟

لا يكون لك انطلاق حقيقي إن لم تحقق هذا الأمر أولا، وهو جواب: كيف يكون الذكر؟ ما طبيعته؟ ما مادته؟ ما ظروفه؟ ما مسلكه؟

ذكر الله عبارة عن غذاء تعبدي تنتفع به النفس، وتقوى على السير إليه تعالى. وبدونه قطعا لا يكون شيء! لا سير ولا وصول! وإنما أعمال الإسلام كلها ذكر: بدءا بالإقرار بالشهادتين حتى الصلاة والصيام والزكاة والحج، وما تفرع عنها جميعا من صالح الأعمال، سواء في ذلك الواجبات والنوافل. وعلى هذا يحمل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾(الزخرف:36). وقوله:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا. قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ (طه:124-126).

فالذكر هنا هو الإيمان والإسلام. وإنما سمي ذكرا؛ لأنه إقرار بما عَهِدَ الله إلى بني آدم في عالم الذَّرِّ من التوحيد، وبما طبع عليه فطرهم من الإيمان، السابق إلى النفس ابتداء. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف:172). وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ

عَـــدُوٌّ مُبِينٌ. وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (يس:60-61).

وبهذا المعنى لم يكن الدين كله إلا (ذِكْراً) ولم تكـــن مهمة الرسل إلا (تذكيرا)، تذكيرا بالعهد الأول، الـــذي أخذه الله على بني آدم في الوجود النفســـي من عالم الغيب. وبهذا المعنى أيضا لم يكن الرسول - أي رسول - إلا (مُذَكِّراً)! ولذلك قال تعالى لمحمد ﷺ بأسلوب الحصر هذا: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ!﴾ (الغاشية:21).

والـــناس عندما يتذكرون حقيقة وجودهم، وطبيعته الابتلائية؛ يشرعون في العودة إلى خالقهم عـــبر مدارج الدين. فالمؤمن الحق هو الذي يذكر هذه الحقيقة؛ فلا يغره الرخاء، ولا تزلزله المصيبة.

بل إنه عند المصيبة يتقوى بهذه الحقيقة: العودة إلى عالم الغيب الذي منه كان البدء. وتلك هي كلمة: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾، التي تقال عند وقوع الـــبلاء. قـــال عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَـــوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالـــثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِـــيبَةٌ قَـــالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ. أُولَـئِكَ عَلَـــيْهِمْ صَـــلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة:155-157).

لكـــن قـــد يطلق لفظ (الذكر) في الشرع بمعـــنى أخـــص، فيقصد به: ما شرعه النبي ﷺ من العبادات القولية، أو اللسانية، التي يرددها العبد في أوراده اليومـــية، ويـــتحرك بها لسانه: تسبيحا

وتحميدا، وتهليلا، وتكبيرا، ونحو ذلك. وهو المراد -ممـــا سبق إيراده - من قول رسول الله ﷺ: فيما رواه الصـــحابي الجلـــيل عَبْدُ اللهِ بنُ بُسْرٍ ﷺ أَنَّ رَجُـــلاً قَالَ: يا رَسُولَ اللهِ إنّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ! فأخبِرْني بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ! قالَ: لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ اللهِ!

إلا أن هذا المعنى الخاص لا يخرج عن المعنى الكـــلي الـــذي يـــراد به تذكر الحقيقة الإيمانية الكبرى، التي هي مناط الدين كله، والراجعة إلى توحيد الله في ربوبيته وألوهيته. فوظيفة الذكر بهذا المعـــنى الخاص هي تجديد معنى الإيمان في النفس، وترســـيخها عليه، وترقيتها بمدارجه ومراتبه؛ حتى

تكـــون مـــن أهل البصائر، ومشاهدة الحقائق في الآيات القرآنية والكونية[33].

---

[33] - لا يجوز للمسلم الذي صحت عقيدته؛ أن يغلو في القول بالمشـــاهدات، بما يخالف أصول العقيدة! كالذين يعتقدون بأن الذكر يكشف حجب الغيب للإنسان ليقرأ في اللوح المحفوظ! فهـــذا مـــن الموروثـــات عن ترهات أهل الخرافات، وأباطيل الشطحات. وقد أجمع العارفون المحققون على ألا حقيقة إلا ما صدر عن مشكاة الشريعة، منضبطا بضوابط العقيدة الصحيحة! وإنما الموفق من وفقه الله.

وأما اللوح المحفوظ فهو ديوان الغيب والقضاء والقدر. فلا أحد مـــن الأنبـــياء زعم علينا أنه يقرأ فيه. إلا ما جاء وحيا معلوما! وقواطـــع القرآن قاطعة لكل جدل عقيم! قال سبحانه يخاطب نبيه محمدا ﷺ: (قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْـــبَ وَلا أَقُـــولُ لَكُـــمْ إِنِّـــي مَلَـــكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ)(الأنعام:50)؛ وقال سبحانه: (وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْـــبِ)(آل عمـــران:179) وقال أيضا: (قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي

وقولـه ﷺ في الحديث المذكور: لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ الله دال على الاستمرار، فعبارة (لا يزال) تدل – في العربية – على بقاء ما

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)(النمل:65) وغاية ما ثبت عن النبي ﷺ من ذلك أنه سمع صوت أقلام الملائكة الذين يستنسخون من اللوح المحفوظ! نعم سمع ولم ير! هذا ما صح به الحديث. فقد أخرج البخاري أنه ﷺ قال: (عُرِجَ بي حتى ظَهَرْتُ بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام). فعجبا أن يطلع أحد من أمة محمد ﷺ على ما لم يطلع عليه محمد نفسه! أليست هذه دعوى عريضة؛ هي أكثر غلوا من دعوى النبوة؟ فاقرأ وتدبر! ثم تبين!

وأما كشوفات المؤمن ومشاهداته فإنما غايتها تَبَصُّرُ حقائق الكون والقرآن في النفس وفي المجتمع. وكفى بها حقيقة عظمى! تملأ القلب وتعمر الوجدان؛ ولكن (لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)(ق:37).

دخلت عليه، وتحكم بدوامه. وإنما قال ﷺ ذلك؛ لأن النفس في سيرها إلى مولاها – بعد إيمانها وصلاحها – قد تمل وتفتر، أو تصيبها الوحشة، أو قد تغفل؛ فتشرد وتضل وتضطرب؛ فتحتاج إلى تذكير دائم يجدد لها إيمانها ويزكيه؛ حتى تطمئن أحوالها؛ ومن هنا قوله تعالى في هذه الآية اللطيفة العجيبة: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد:28).

وقول النبي ﷺ: مَثَلُ الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مَثَلُ الحي والميت![34].

فالذِّكْرُ إذن: حضور واستحضار. فالحضور: حضور القلب بين يدي الله تعالى عابدا متبتلا.

[34] – متفق عليه، واللفظ للبخاري.

والاستحضار: مطالعة الروح لمقاصد العبارات من الأذكار والآيات، وتبين آثارها في النفس، وتتبع مشاهدها في الكون؛ تفكرا وتدبرا. وذلك معنى حديث النبي ﷺ عن (الإحسان): أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك![35] أما ترديد الآيات، وترجيع العبارات بلسان غير موصول بالقلب؛ فعمل عديم الفائدة. وما الذكر إن لم يكن تذكرا لغائب المعاني، وشارد المقاصد؟ تتذكر ماذا إذن وتشاهد؟ كيف تبصر وأنت تلقي بالكلمات في تيه العمى! لا بد من مطابقة التعبير للتفكير؛ وإلا فلا ذِكْر!

[35] – متفق عليه.

ولك أن تشاهد أحوال من سماهم الله تعالى بأولي الألباب: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران:191) ذلك قلب العبد المحب له واردان اثنان: لسان يتذكر وذهن يتفكر! وهما معاً تنفتح له نوافذ المشاهدات ملء الكون! فكل كلمة من الذِّكْر تنساب على اللسان هي سفينة فضائية، تحملك عُرُوجاً إلى الرحمن، عبر ملايين الأفلاك والمجرات، فتخترق بك الطبقات تلو الطبقات، من المدارات والفضاءات! فأعظم بها سياحة الذاكرين! في رياض المُلْك والملكوت!

هنا إذن؛ تحضر أهمية مجالس القرآن، حيث تنفع المذاكرة والمدارسة في تلقي منهج التفكُّر والتدبر؛ فاسلك مجلس الذاكرين الربانيين، وادخل مدرسة البصائر، وتعلم كيف تتذكر! إن كلمة واحدة من التسبيح، أو التهليل، أو التكبير؛ لكفيلة بأن تلقي بك في فضاءات أخرى، تبعد عن كوكب الأرض بملايين السنين الضوئية! وتدبر هذا الحديث النبوي العجيب: وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن؛ فإنه روحك في السماء، وذكرك في الأرض [36] فاركب سفينة الذكر يا صاح ثم انطلق!

36- رواه أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. و حسنه الألباني. انظر حديث رقم: 2543 في صحيح الجامع.

ثم يحسن بك أيضا أن تقرأ ما أوردناه بالهوامش - أسفله - من تأصيل عن النبيﷺ، في فضل الآيات المعينة، وصيغ الأذكار النبوية المختارة؛ فهو من خير ما يساعد المؤمن على استحضار مقاصد الذكر عند كل عبارة.

ولك في هذه الإشارات - إن شئت - بدايات. وذلك من أجل تبين مسلك تطبيقي للذّكر. ولنجعله على قسمين: الأول ذكر قرآني، وهو في بيان كيفية الاشتغال بالقرآن باعتباره (ذِكْراً). والثاني: ذكر نبوي؛ وهو بيان منهج التعامل مع الصيغ السنية في ذكر الله تعالى.

تبصرة: في مسلك الذكر القرآني:

القرآن العظيم رأس الذِّكْر، ومفتاح الذكر، وتاج الذكر. بل القرآن هو الذكر! قال سبحانه: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ. وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ!﴾ (القلم:51-52).

والقرآن أيضا به يكون الذكر! قال سبحانه: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (ص:1). والفتنة حينما يطوف بها الشيطان في كل مكان؛ يعمي بها البصائر، فيحفظ الله الذاكرين! قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف:201).

الإشكال الآن هو: كيف تُحصِّل الذكر بالقرآن؟

هذا هو السؤال الأهم الآن؛ لأنه ليس كل قارئ للقرآن هو بذاكر!

تبصرة: في أخذ القرآن بمنهج (التَّلَقِّي)

كثيرون هم أولئك الناس الذين يتلون القرآن اليوم، أو يستمعون له على الإجمال، على أشكال وأغراض مختلفة. ولكن قليل منهم من **(يتلقى)** القرآن!

وإنما يؤتي القرآنُ ثمارَ الذكر حقيقةً لمن **تلقّاه**! وإنما كان رسول الله ﷺ **يتلقى** القرآن من ربه. قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ **لَتُلَقَّى** الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل:6).

ولا يزال القرآن معروضا لمن **يتلقاه**، وليس لمن يتلوه فقط! وما أدق وأجمل كلمات الشاعر الباكستاني محمد إقبال في هذا! إذ قال رحمه الله:

تَجَلِّي النُّورِ فَوْقَ الطُّورِ بَاقٍ

***

فَهَلْ بَقِيَ الْكَلِيمُ بِطُورِ سِينَا؟

والتلقي في اللغة: هو الاستقبال عموما. كما في قول الله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء:103)[37].

وأما **تلقي القرآن**: فهو استقبال القلب للوحي. إما على سبيل النبوءة، كما هو الشأن بالنسبة للرسول ﷺ. على نحو ما في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ **لَتُلَقَّى** الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل:6). إذ لقى الله عليه القرآن بهذا المعنى! كما فسره الراغب الأصفهاني من قوله تعالى: ﴿إنا

[37]– انظر ذلك مفصلا في مفردات الراغب، مادة: (لقي).

سنلقي عليك قولا ثقيلا﴾ (المزمل:5) قال رحمه الله: (إشارة إلى ما حُمِّلَ من النبوة والوحي!)[38].

وإما أن يكون **(تلقي القرآن)** بمعنى: **استقبال القلب للوحي، على سبيل الذكر.**

وهو عام في كل مؤمن أخذ القرآن بمنهج التلقي على ما سنبينه بعدُ بحول الله. فذلك المنهج هو الذي به تنبعث حياة القلوب. لأنها تتلقى آنئذ القرآن (روحا) من لدن الرحمن. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا. مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ. وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا. وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. (الشورى:52-53).

[38]– المفردات، مادة: (لقي).

وبيان ذلك أن المسلم يتعامل مع القرآن تلاوةً واستماعا على أنه (تنزيل)، وليس فقط على أنه (إنزال). فقد فرق علماء القرآن بين (التنزيل) و(الإنزال)؛ على اعتبار أن **الإنزال**: هو ما وقع من نزول القرآن من لدن الله تعالى، إلى السماء الدنيا. وهو ما حصل في ليلة القدر. كما في قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ (القدر:1). وقوله سبحانه: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ (الدخان:3).

وأما **التنزيل**: فهو ما وقع من نزول القرآن في الناس، على وقائع معينة في التاريخ، تعالج قضايا النفس والمجتمع. وهو ما قصده العلماء بمعنى نزول القرآن (مُنَجَّماً): أي مفرقا على

آيات، تترل عند الحاجة لتعالج هذه الآفة أو تلك، أو لتؤسس هذا الحكم أو ذاك، في عملية بناء الإنسان، وعمران الوجدان، التي استمرت طيلة فترة تترل الوحي في المجتمع الإسلامي النبوي.

وذلك هو المذكور مثلا في قول الله تعالى: ﴿حم. تنزيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت:1-3).

فالتتريل: تفريق القرآن آيات، آيات - لما ذكرنا - عند تترله على قضايا الناس. وقد ذكر الله سبحانه المعنيين معا بشكل واضح، في سورة الإسراء، من قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ

لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ (الإسراء: 105-106).

ومن هنا قال الراغب الأصفهاني: (الفرق بين "الإنزال" و"التتريل" في وصف القرآن والملائكة: أن التتريل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقا، ومرة بعد أخرى. والإنزال: عام. (...) وقوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ (البقرة: 185)، ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ (القدر:1)، إنما خص لفظ (الإنزال) دون (التتريل)؛ لما روي: (أن القرآن نزل دفعة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نزل نجما فنجما).

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى: "إنا أنزلناه في ليلة مباركة"،قال: أنزل القرآن في

ليلة القدر، ثم نزل به جبريل على رسول الله نجوما، بجواب كلام الناس)[39].

و(**تلقي القرآن**) بمعنى **استقبال القلب للوحي، على سبيل الذكر**؛ إنما يكون بأخذه - فضلا عن كونه إنزالا - على أنه تتريل. حيث يتعامل معه العبد، ويتدبره آيةً، آيةً، باعتبار أنها تترلت عليه لتخاطبه هو في نفسه ووجدانه، فتبعث قلبه حيا في عصره وزمانه! ومن هنا وصف الله تعالى العبد الذي (يتلقى القرآن) بهذا المعنى؛ بأنه (يُلْقي) له السمع بشهود القلب! قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق:37). ذلك هو الذاكر

39- مفردات غريب القرآن، مادة: (نزل).

حقا، الذي يحصل الذكرى ولا يكون من الغافلين.

أن تتلقى القرآن: معناه إذن؛ أن تصغي إلى الله يخاطبك! فتبصر حقائق الآيات وهي تتترل على قلبك روحا. وبهذا تقع اليقظة والتذكر، ثم يقع التَّخَلُّقُ بالقرآن، على نحو ما هو مذكور في وصف رسول الله ﷺ، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لما سئلت عن خُلُقه ﷺ؛ فقالت: كان خُلُقُهُ القرآنَ![40].

وأن تتلقى القرآن: معناه أيضا أن تتترل الآيات على موطن الحاجة من قلبك ووجدانك! كما يتترل الدواء على موطن الداء! فآدم عليه السلام لما

40- رواه مسلم.

أكل هو وزوجه من الشجرة المحرمة؛ ظهرت عليهما أمارة الغواية؛ بسقوط لباس الجنة عن جسديهما! فظل آدم عليه السلام كئيبا حزينا. قال تعالى: (فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا! وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ. وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)(طه:121). ولم يزل كذلك حتى (تلقّى) كلمات التوبة من ربه فتاب عليه؛ فكانت له بذلك شفاءً! وذلك قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة:37). فهو عليه السلام كان في حاجة شديدة إلى شيء يفعله أو يقوله؛ ليتوب إلى الله، لكنه لا يدري كيف؟ فأنزل الله عليه – برحمته تعالى – كلمات التوبة؛ ليتوب بها هو وزوجه إلى الله

تعالى. وهي – كما يقول المفسرون – قوله تعالى: ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف:23) فبمجرد ما أن تنزلت الآيات على موطن الحاجة من قلبه؛ حتى نطقت بها الجوارح والأشواق؛ فكانت له التوبة خُلُقاً إلى يوم القيامة! وكان آدم عليه السلام بهذا أول التوابين! وذلك أخذه كلمات التوبة على سبيل (التلقي): (فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ)!

فعندما تقرأ القرآن إذن؛ استمع وأنصت! فإن الله جل جلاله يخاطبك أنت! وادخل بوجدانك مشاهد القرآن، فإنك في ضيافة الرحمن!

هناك حيث ترى من المشاهد ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر!

تبصرة: في مسلك الذكر النبوي:

وأما الذكر النبوي؛ فلأنه لا يكاد ينحصر لكثرته؛ فإننا ننتخب منه نموذجا واحدا للتمثيل التطبيقي، ولنجعل (التسبيح) له مثالا:

- **(سبحان الله!)**: كلمة إجلال وتعظيم؛ تنزيها لله رب العالمين. إنها كلمة تنبع من قلب عرف الله؛ فانبهر بعظمةسلطانه وجلال ربوبيته، وأدركته الهيبة والخشية؛ لمَا رأى من آيات المُلك وعظمة الملكوت! أبصرْ ذلك مثلا فيما أنكره الملكُ العظيم على الكفار! قال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر:67).

أن تسبح الله معناه أنك تعبده بالتزيه. والتزيه أن تعتقد بقلبك، وتدرك بوجدانك أنه سبحانه أعلى وأجل من أن يحيط به فكر، أو أن يتصوره خيال! إنه تعالى فوق التشبيه وفوق المثال! لا يحيط به شيء، وهو يحيط بكل شيء! أن تسبحه يعني أن تنسب إليه تعالى كل صفات الكمال والجلال والجمال، مما وصف به تعالى نفسه من أسمائه الحسنى وصفاته العلى. فهو هو، كما وصف نفسه بمراده، ومقاصده، جل وعلا. أن تسبح الله يعني أنك تتزهه عن خلقه، تشعر بوجدانك أنه تعالى مفارق لهم، متعال عنهم. واستحضار هذه المعاني يكون بمشاهدة آيات العظمة في الخلق، وكمال الجمال في دقة الصنع.

تأمل جيدا معنى الخلق! ركز ذهنك عند المشاهدة البصرية، وعند المطالعة القلبية! وأبصر: كيف كان هذا الكون العظيم؟ الممتد من عالم الشهادة إلى عالم الغيب؟ أبصر كيف تحول الطين في جسم آدم إلى لحم ودم، وإلى جسم ينبض بالحياة! يتذوق ويبصر، ويحس ويشعر، ويضحك ويبكي، ويحن ويشتهي، ويخاف ويأمن... إلخ. أبصر كيف تحول اللاشيء إلى شيء! وكيف تحول العدم إلى وجود! اقرأ حروف الكائنات في كتاب الكون الكبير! اقرأ!.. ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق!﴾ (العلق: 1)

وهـــذا يقتضي منك رحلة كونية عظمى، لا تنـــتهي إلا بانـــتهاء قدرتك على التتبع الروحي

للفضـــاءات! ترحل في الوجود لتشاهد مدارات الكـــون، وطبقات الأجرام والسماوات.. وتبصر بعـــين القلب، تشاهد بروحك العوالم الأخرى.. وتذكـــر الله: إنـــه خالق كل هذا! إنه خالق كل شـــيء. إنـــه فوقهم جميعا، متعال عنهم جميعا. إنه لـــيس لـــه مثيل: سبحان الله! أنى خلق كل هذا وكيف؟ تلك معجزة الخلق، وتلك محيرة العقول؛ فقل: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله... حتى ينتهي النَّفَس، ثم جدد: سبحان الله!

هذه نملة تسترزق قُوتها، وتلك نحلة تسلك ســبل ربهـــا، وتلك بعوضة تشعر بالحياة، عجبا! ســـبحان الله! وأمم أخرى أدق وأصغر، لا تدرك بالـــنظر العادي، تملأ أحشاءنا وتسبح في دمائنا،

وتســـرح في الفضاءات، وارقب أمم الأرض من ســـائر الكائـــنات وســـائر الأنواع، وأبصر أمم الســـماء، وأبصـــر حشـــود الملائكة تملأ طبقات السماوات، على امتدادات لا يحصرها خيال! قال الـــنبي ﷺ: إني أرى مـــا لا ترون، و أسمع ما لا تسمعون: أَطَّتِ السماءُ وحُقَّ لها أن تَئِطَّ! ما فيها موضـــع أربع أصابع؛ إلا ومَلَكٌ واضع جبهته لله تعـــالى ساجدا! والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قلـــيلا، ولبكيتم كثيرا! وما تلذذتم بالنساء على الفرش! ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله[41]

[41] - رواه أحمـــد والـــترمذي وابـــن ماجه والحاكم عن أبي ذر مرفوعا. وحسنه الألباني. انظر حديث رقم: 2449 في صحيح الجامع.

والملائكة على تلك الحال من العبادة أبدا إلى ما شاء الله. قال جل وعلا: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِه وَلا يَسْتَحْسِرُونَ. يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء:19-20)

وتسبح الأمم في الأرض لله طوعا وكرها. وكل الخليقة أُمَمٌ. قال تعالى: ﴿وَمَا من دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْه إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ من شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام:38). وأبصر بعد ذلك كيف يسترزق الجميع مولاهم الملك الرزاق؟ هو وحده يرزق، هو وحده يعطي، هو وحده يمنع، هو وحده يحيي، هو وحده يميت، هو (الحي القيوم)، يقوم بأمر

الكون كل الكون؛ خلقا، وإحياء، وإماتة، وتقديرا. لا يتحرك شيء في الكون - مهما دق أو صغر- إلا بإذنه! قال سبحانه: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام:59) ويدير كل شيء! لا يشغله شيء عن شيء! وذلك اسمه (القيوم). ونحن خليقته نسأله في الزمان الواحد، ويعطي كل واحد مسألته! وهو تعالى فوق الزمان والمكان، لا يحصره زمان ولا يحيطه مكان. بل هو بكل شيء محيط، جل وعلا،سبحانه هو خالق الزمان والمكان!

ثم انطلق! انطلق إلى مولاها! ومُرَّ على العوالم مرة أخرى، وشاهد كل ذلك، وقل: سبحان الله! تعالى الله عن كل شيء علوا كبيرا. أخي يا رفيق الطريق! ليس كل من نطق بعبارة التسبيح قد سبح الله!.. فسبِّح الله! سبِّح الله! سبِّح الله!

تلك لمعة من لمعات التسبيح، وومضة من ومضاته؛ ومضة أقل من أثر برق! ضَرَبَ هنا ثم انتهى قبل أن تدركه عين!

وكما يكون التسبيح رحلة كونية لتنزيه رب الكون؛ كذلك يكون التحميد (الحمد لله) رحلة كونية لشكر رب الكون، ويكون التهليل (لا إله إلا الله) رحلة كونية لتوحيد رب الكون، ويكون

التكبير (الله أكبر) رحلة كونية لتعظيم رب الكون! ولكن لكل عبارة مراكبها، ولكل جملة مشاهدها، ولكل نعمة ذوقها وجمالها؛ فاذكر الله! واقرأ إن شئت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران:190-191).

وسبق إيراد الحديث النبوي العجيب: (وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن؛ فإنه روحك في السماء، و ذكرك في الأرض!) فانظر

وتدبر: هل أنت فعلا ممن يقرأ ويذكر؟ أم أنك لم تبدأ بعد؟ وإذن ماذا تنتظر؟ وهذا العمر يمضي لا ينتظر أحدا!

تبصرة: في مجلس الذكر

الدخول في الذكر يحسن أن يكون بمجلس مخصص له ابتداء، فذلك أفضل؛ لشهادة السنة له في أحاديث كثيرة وردت في فضل (مجالس الذكر)، وقد سبق ذكر بعضها؛ ولتواتر فعله عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. لكن يمكن أن يدخل فيه الإنسان بغير مجلس مخصص، كأن يكون مسافرا فيقطع المسافات بتلاوة أوراده، من قرآن، أو أذكار. ولذلك قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران: 191) وإنما ورد حديث (سبق المفردون) - الذي سبق الاستشهاد به أكثر من مرة - في سفره ﷺ. فقد قاله النبي ﷺ للصحابة الذين كانوا

معه في سفر. ففي رواية مسلم للحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ. فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ. فَقَالَ: «سِيرُوا. هَذَا جُمْدَانُ. سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ!» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيراً، وَالذَّاكِرَاتُ!»).

إلا أن الجلوس له أفضل قطعا؛ لكثرة ما ورد فيه من نصوص، ولما اختص به من فضل اجتماع الملائكة. ومن أشهر ذلك حديث ملائكة الذكر، الذي سبق إيراده أيضا. قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في كتاب الأذكار: (اعلم أنه كما يُستحبُّ الذكر يُستحبُّ الجلوس في حلَق أهله، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك (...) وروينا

في صحيح مسلم عن معاوية ﷺ أنه قال: خرج رسول الله ﷺ على حلقة من أصحابه فقال: ما أجْلَسَكُم؟ قالوا: جلسنا نذكُر الله تعالى ونحمَدُه على ما هدانا للإسلام ومنّ به علينا، قال: آللّه ما أجْلَسَكُمْ إلا ذَاكَ؟ قالوا: واللّه، ما أجلسنا إلاّ ذاك، قال: أما إني لَمْ أستحلفكُمْ تُهمةً لكُمْ، ولَكنَّهُ أتاني جبْرِيلُ فأخْبَرَني أنَّ اللّه تعالى يُباهي بكُمُ المَلائكَةَ![42])

هذا، ويحسن عند القراءة للقرآن وللأذكار أن تمد صوتك بالحروف مدا؛ حتى تستعين بذلك على ما ذكرنا من مصاحبة الفكر للذكر. وهو

[42] من مقدمة المصنف رحمه الله لكتاب الأذكار، ط. الخامسة، دار ابن كثير.

الثابت في سنة القراءة عند رسول الله ﷺ، فقد أخبر الصحابي الجليل أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يمد صوته بالقرآن مدا[43]. قال السندي في حاشيته على النسائي: (قوله: «يمد صوته مدا» أي يطيل الحروف الصالحة للإطالة؛ يستعين بها على التدبر والتفكر، وتذكير من يتذكر)[44].

ذلك طيف عابر من لطائف الذكر. وأما مشاهدة المقاصد والمعاني يا صاحبي؛ فتلك غاية لا يمكن أبدا شرحها بعبارات، وإنما يتلقاها المتعلم

[43]- رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم عن أنس. وصححه الألباني انظر حديث رقم: 5013 في صحيح الجامع.

[44]- حاشية السندي على سنن النسائي (باب مد الصوت بالقراءة)، حديث رقم: 1008.

بإشارات! إشارات تنبئ عن دخول القلب في مشاهدة الكلمات، وعن تجربة وجدانية للذاكر، ومدى تذوقه لمواجيدها. وإنما الذي نرجوه أن هكذا، ببدايات مثل هذه يمكن إن شاء الله أن تكون ذاكرا، فاتق الله يعلمك الله؛ ويزدك من فضله؛ عسى أن تكون من الربانيين، والمُفَرِّدين السَّابقين.

تبصرة:

لك أن تختار من القرآن والسنة الصحيحة آيات وأذكارا نبوية، تكون لك وردا يوميا، تسلك من خلاله إلى الله تعالى، وتتعهد به قلبك حتى يدوم على نداوة الإيمان، ويستعين بها على الترقي بمدارج التعرف إلى الله ذي الجلال؛ فيزداد إشراقا بنور الرحمن!

وقد جمعت لك - أيها المحب - مختارات من ذلك، مما صح الإرشادُ إليه عن رسول الله ﷺ، واشتغل به الصحابة رضوان الله عليهم، فكانت لهم به أحوال وأسرار. وهو مضمون الفصل الخامس من هذه الرسالة. فاعتمده إن شئت، فإنما هو آيات وسنن صحيحة. لكن احذر أن يفوتك

ذكر الله بـ(منهج التلقي) -كما شرحناه قبل- فتفوتك أنوار الحكمة من كل آية قرآنية وعبارة نبوية؛ وإذن لا يكون للذكر على قلبك أثرا! وإنما الذِّكْرُ تَذَكُّرٌ. فتدبر ثم أبصر!

الفصل الثالث:
في عهد القرآن والقيام

القرآن العظيم كلام الله ذي الجلال. وكفى بذلك حقيقة عظمى! وكلام الله جل جلاله، هو وحده الذي يؤجر فيه العبد على تلاوته؛ بعدد ما يتلوه من حروفه؛ حرفا حرفا! ولا خير فيمن هجر القرآن! وقد سبق حديث رسول الله ﷺ في ذلك: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف!) فإذا قام به من الليل كان له ميزان آخر! كما سترى بحول الله.

إن هذا القرآن سر لطيف، وكنز رباني عجيب، لو تتلوه يا صاح حق تلاوته؛ لرأيت فيه عجبا! ولأبصرت منه بصائر الكون جميعا! فهو جامع الكتب السماوية كلها، وهو خلاصتها الكاملة. فهو (الكتاب)، بما تقتضيه (ال) من معاني الاستغراق. قال عز وجل في فاتحة سورة البقرة: ﴿ألم. ذلك الكتاب﴾، أي الأكمل الأشمل، الذي ضم بين دفتيه كل الكتب. وفي ذلك من الأسرار ما يدركه أهل البصائر إذ يقرؤون القرآن. فتنجلي لهم سنن، وتتضح لهم معالم، ويشاهدون حقائق. قال رسول الله ﷺ في حديث عجيب حق عجيب: أُعْطِيتُ مكان التوراة السبعَ الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين،

وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفُضِّلْتُ بالمفصَّل[45]. فهل تقرأ القرآن حقا؟ تحقق قبل أن تجيب! إن كان لا؛ فحاول أن تقرأه! وجرب!

---

[45] - رواه الطبراني والبيهقي في سننه؛ وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 1059 في صحيح الجامع. ومما يدل على ذلك أيضا قوله ﷺ: (خُفِّفَ على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن من قبل أن تسرج دوابه! ولا يأكل إلا من عمل يده). رواه البخاري. فهذا الحديث دال على أن الزبور لم يكن كتابا مطولا، وإنما كان على حجم بعض سور القرآن العظيم من (المئين) كما صرح به النبي ﷺ في الحديث أعلاه. والمئون: هي السور التي عدد آياتها مائة، أو تزيد قليلا، كسورة الكهف مثلا. وبذلك يفهم كيف يكون الزبور مضمنا بكتاب نحن المسلمين. وهو هنا سماه قرآنا؛ لأن كل كتاب أنزل للتلاوة والقراءة يسمى قرآنا، إلا أن خصوص التسمية عند الإطلاق تقع على ما أنزل على نبينا محمد بن عبد الله ﷺ.

وتعلم كيف تصنع، عسى أن تكون ممن ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة:121). ادْخُلْ باب القرآن متجردا من كل الأحوال؛ إلا حال الإقبال على رب الكون، الله الملك الوهاب! وأبصر في الآيات بصائر الحياة، واقرأ ثم اركع واسجد؛ تكن بحول الله من المبصرين!

تبصرة: في أوقات القرآن

لا شك أن القرآن هو لكل الأوقات، لكن المؤمن لا يعيش حياته ارتجالا. سواء في ذلك عباداته وعاداته. كيف وقد جعل الله علينا فرائضه أوقاتا؟ ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (النساء:103).ومن هنا كان إرشاد الحق عباده الذاكرين إلى أوقات بعينها، باعتبارها ذات جمال خاص للعبادة والذكر. وقد كانت أوقات الأنبياء والصالحين - كما جاء في كتاب الله - تتوزع بين الغداة والعشي ثم الليل. والقرآن هو لتلك الأوقات جميعا. لكن لك أن تختار منها حسب ظروفك وأحوالك. وبعضها طبعا أفضل من بعض، كما سترى بحول الله. فإن كنت بدأت

نهارك بورد الأذكار؛ فلكَ أن تجعل ورد القرآن مساءً، أو بليل.

إن قرآن المساء وذِكْرَهُ - كقرآن البكور- له ذوق خاص عند الذاكرين المفرَّدين، كما في كتاب الله. قال عز وجل: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف:205). فالغُدُوُّ هو البُكُور من الصباح؛ أي أول النهار وبدايته. والآصال، مفرده: أصيل. وهو كما في كتب اللغة والتفسير: (وقت ما بين العصر إلى الغروب). فهو سويعات آخر النهار، حيث يبرد حر الشمس، وتهدأ أشعتها، وتلين أضواؤها،

وتطول الظلال وتمتد. ولذلك كان من أجمل أوقات النهار.

فلا غنى لك أخي السائر عن زاد المساء. فهو زاد الأنبياء والصديقين! قال عز وجل: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ. لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (النور:36-38).

وفي هذا الوقت كانت معجزة نبي الله داود عليه السلام تتجلى في مجلس ذكره، حيث تجتمع

إليه الطيور للذكر، وتردد معه الجبال التسبيحات! قال سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ. إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ. وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ (سورة ص:17-19)، وقال تعالى في ذلك أيضا: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً: يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ (سبأ:10). ومعنى أَوِّبي: سبحي! والتَّأْوِيبُ: الترجيع والترديد، فهي كانت ترجع معه وتردد التسبيح بوعيها؛ تسخيرا من الله، لا بالصدى. لأن الأَوْبَةَ كالتوبة وَزْناً ومعنى. فالعَشِيُّ أو الأصيل وقت فيه أسرار عجيبة، منها أنه وقت سجود الكائنات من غير الإنسان لله الواحد القهار. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (الرعد:15).

ومنها أنه وقت الذاكرين المخلصين الذين يريدون وجه الله تعالى وحده. قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف:28).

اجعل لك إذن جلسة قرآنية بالمساء تتلو كتاب الله ذاكرا متدبرا. اقرأ فيها وردك من القرآن العظيم، على ما رتبت على نفسك من الأحزاب والأجزاء، حسب دورة ختمتك للقرآن كل شهر، أو كل أربعين يوما، على حسب

ظروف عملك وأعمالك. وقد كان الصحابة يحفلون بختم القرآن بمنازلهم. فعن ثابت أن أنس بن مالك ﷺ كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعا لهم [46].

وقد ورد في الحديث ضبط مدة الختم أنها -على الأحسن- ما بين شهر وأربعين يوما، وذلك قول رسول الله ﷺ: اقرأ القرآن في كل شهر! اقرأه في عشرين ليلة! اقرأه في عشر! اقرأه في سبع! و لا تزد على ذلك [47]. وقال ﷺ أيضا: اقرأ القرآن في كل شهر! اقرأه في خمس

---

[46]- أورده الهيثمي بمجمع الزوائد في (باب الدعاء عند ختم القرآن) وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات. مجمع الزوائد: الحديث رقم: 11713.

[47]- متفق عليه

وعشرين! اقرأه في خمس عشرة! اقرأه في عشر! اقرأه في سبع! لا يفقهه من يقرؤه في أقل من ثلاث [48]. ثم قال ﷺ: اقرأ القرآن في أربعين [49].

---

[48] – رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو، وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 1157 في صحيح الجامع.

[49] – رواه الترمذي عن ابن عمر، وحسنه الألباني. انظر حديث رقم: 1154 في صحيح الجامع.

تبصرة في قرآن القيام:

لكن لا تنس حظ الليل من القرآن الكريم! فاجعل جزءا من ورد القرآن صلاة بليل. وإن نشط سيرك فاجعله كله قياما! ذلك خير. فقد قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس: («نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ». قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ، بَعْدَ ذَلِكَ، لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً)[50]. وذلك مسلك الربانيين. فانظر إلى هذا المشهد الجميل من قول الله تعالى في وصف المؤمنين من أهل الكتاب الذين أدركوا الإسلام فأسلموا: ﴿لَيْسُواْ سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ

50- متفق عليه.

يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (آل عمران:113).

انظر كيف أناروا لياليهم الخضراء بتلاوة القرآن صلاةً بليل! وانخرطوا في حركة سير إلى الله عجيبة تخترق الآفاق، وتستدر من المحبة أنوار الأشواق، في خلوة القرآن! وقال الرب الكريم في وصف أصحاب سيدنا محمدﷺ عامة: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح:29). فعجبا لمن يبصر هذا الجمال ولا يلتحق بالركب! عجبا كيف تبطئ يا أخي والسير قد انطلق!

أما أهل العزائم ممن شدوا الرحال، فقد أَدْلَجُوا عبر منازل السُّرَى إلى ديار الحبيب! وأناروا مسالك الليالي بأقمار القرآن، مسافرين إلى الرحمن ركوعا وسجودا، يحدوهم الخوف ألا يكونوا من الواصلين، أو ألا يكونوا من المُفَرِّدين السابقين! قال المصطفى ﷺ يصفهم في حديث يفيض بالأنس والجمال: من خَافَ أَدْلَجَ، ومن أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ! ألا إن سلعة الله غالية! ألا إن

سلعة الله الجنة[51] والإدلاج: هو السير بليل، أو السفر الليلي، من الدُّلْجة: وهي الظلمة. والمقصود طبعا قيام الليل. شبهه بالإدلاج؛ لما فيه من معنى السفر الروحي، وتحليق النفس في فضاءات السير إلى الله.

فيا أيها السالك المحب! إن كنت صادقا؛ فأحي جزءا من ليلك بالقرآن! وخاصة ثلثه الأخير، وإن لم تستطع فوسطه، وإن لم تستطع فأوله! وكل ذلك أفضل من وقت الأصيل أو البكور. وفي كل خير.

51- رواه الترمذي والحاكم. وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 6222 في صحيح الجامع.

ثم الصلاة بالقرآن خير من تلاوته مجردا عن الصلاة! وكلما اختلى الإنسان بصلاة النافلة كانت أعظم في الأجر؛ حتى تبلغ درجة الفريضة من حيث قيمتها. وذلك بنص حديث رسول الله ﷺ، وهو حديث عجيب لمثله تشد الرحال! قال ﷺ: صلاة الرجل تطوعا حيث لا يراه الناس تعدل صلاته على أعين الناس خمسا وعشرين! [52].

ولذلك يحسن جعل ورد القرآن كله بليل؛ لأنه أضمن للخلوة مع الله جل جلاله، فهو أفضل

52- رواه أبو يعلى في مسنده عن صهيب الرومي رضي الله عنه. وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 3821 في صحيح الجامع.

من الأصيل قطعا وآخر الليل أفضل من أوله، كما هو ثابت في السُّنة. قال ﷺ: إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل فيعطى؟ هل من داع فيستجاب له؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ حتى ينفجر الصبح [53] ولذلك قال ربنا جل وعلا بنص القرآن العظيم: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ (المزمل:6).

ولكن خذ من العمل في ذلك حسب ما تطيق! واشتغل بالأوراد على حسب ظروف عملك، ولا تكلف نفسك فوق طاقتها. وتحرَّ من الأوقات ما يعينك على دوام العمل فذلك أفضل.

53- رواه مسلم.

وفي الحديث: يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ! فَإِنَّ اللهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلّوا. وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ [54] وفي رواية أخرى صحيحة: اكْلَفُوا من العمل ما تطيقون! فإن الله لا يمل حتى تملوا! وإن أحب العمل إلى الله تعالى أدْوَمُه وإن قَلَّ! [55] وأما الذي يشتغل بالحفظ فورده القرآني إنما هو الاشتغال بمحفوظه ضبطا وإتقانا، والقيام به من الليل قياما. حتى يفرغ من جمع القرآن كاملا. وآنئذ ينخرط في سلك الختمات الكلية.

54- متفق عليه واللفظ للبخاري.

55- رواه أحمد وأبو داود والنسائي. وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 1228 في صحيح الجامع.

وقد جوز العلماء لمن غلبه النوم قضاء أوراد القيام صَدْرَ النهار؛ لحديث النبي ﷺ قال: مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ [56]. لكن لِمَ لا تكون من الذاكرين السابقين؟ بل لِمَ لا تكون من القانتين؟ بل لِمَ لا تكون من المقنطرين؟ والأمر أيسر مما يصوره لك إبليس تهويلا وتثبيطا؟ ثم كيف لا بَعْدُ؟ وهذا قول رسول الله ﷺ يعرض عليك أجرا يمده بحر الغيب مددا..! يقول ﷺ: من قام بعشر آيات لم يكتب

56- رواه مالك في الموطأ، ومسلم في صحيحه.

من الغافلين! ومن قام بمائة آية كتب من القانتين! ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين! [57]

فلتقم على الأقل بعشر آيات - من غير الوتر - ولا تكـن من الغافلين! فسورة (الكافرون) مثلا ست آيات، وسورة الإخلاص: ﴿قل هو الله أحد﴾ أربـع آيـات، فتلك عشر! لكن أحسن تدبرها وأحسـن ركوعها وسجـودها! فقـد قال ﷺ: أيعجـز أحدكم أن يقرأ في كل ليلة ثلث القرآن؟ إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل "قل هو الله أحد" جزءا من أجزاء القرآن [58]. وإن أنعم الله

[57] - رواه أبـو داود وابن حبان عن عبد الله بن عمرو مرفوعا. وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 6439 في صحيح الجامع.

[58] - رواه مسلم.

علـيك يا سالك بمحبته، ومَنَّ عليك بإقبال عزيمة التعبد، وانتهاضها للسير الدائم إليه، المشتاق إلى نـور جمالـه وظل جلاله؛ فقم بسورة في القرآن ذات أسرار خاصة، هي فقط ثلاثون آية! تنفعك في قبرك، فتكـون لك فيه حصنـا من عذابـه - عافانـا الله وإياك من عذابه - إنها سورة الملك! أي (تبارك). فهي السورة المنجية من عذاب القبر كمـا في الأحاديث الصحاح، ولهذا فتسمى أيضا بـ(المانعـة). قال رسول الله ﷺ: سورة تبارك هـي المانعة من عذاب القبر [59]. وقال أيضـا: إن سـورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل

[59] - رواه ابـن مردويه عن ابن مسعود. وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 3643 في صحيح الجامع.

حـتى غفر له! وهي: "تبارك الذي بيده الملك" [60]. ومـثله قولـه ﷺ: سورة من القرآن ما هي إلا ثلاثـون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة! وهي تبارك [61].

ولـك أن تقوم ليلة الجمعة بسورة الكهف خاصة[62]؛ لما صح في ذلك من فضل هذه السورة

[60] - رواه أحمـد والأربعة وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة. وقـال الألبـاني: حديث حسن. انظر حديث رقم: 2091 في صحيح الجامع.

[61] - رواه الطـبراني في الأوسـط والضياء عن أنس. وحسنه الألباني. حديث رقم: 3644 في صحيح الجامع.

[62] - بشـرط ألا تفرد ليلة الجمعة بالقيام من دون سائر الأيام؛ لـنهي النبي ﷺ عن ذلك، قال: (لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تختصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام؛ إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم!) رواه مسلم. فإن كان في قيام

لمـن قرأها من يوم الجمعة بالليل أو بالغداة. فقد قال ﷺ: مـن قرأ سورة الكهـف يوم الجمعة، أضـاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق! [63]. ومـثله قولـه ﷺ: من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين! [64]. قال ابن حجر في أماليه مبينا ذلك: (المراد: اليوم

يقومه يومياء أو يوما بعد يوم؛ فهو حسن للأحاديث المذكورة أعلاه، ولما هو مفهوم من حديث النهي هذا.

[63] - رواه البـيهقي في السنن، وفي شعب الإيمان، ورواه الحاكم بلفـظ قريـب منه. وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: 6471.

[64] - رواه الحـاكم والبـيهقي في السنن، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: 6470.

بليلته، والليلة بيومها). ولا يخفى عليك فضل صلاة النوافل بالليل على النهار!

ذلك من حق القرآن العظيم عليك، فلا تهمله ولا تهجره! بل اشتغل به ذكرا بالنهار، وقياما من الليل، ثم تدبرا وتفكرا في كل حين! اجعله زاد طريقك، وصاحب سفارك، وخليل خلوتك، ورفيق جلوتك. وعش به وله. واحذر أن تصيبك شكوى رسول الله ﷺ مما حكاه الله في القرآن، إذ قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: 30).

الفصل الرابع: في عهد البلاغ

وهذا عهد فصلناه في كتيبنا (بلاغ الرسالة القرآنية). وإنما نورد ههنا خلاصته العملية، بإيجاز شديد؛ لكمال التطبيق وشمول التحقيق لميثاق العهد.

ومسالكه هي المفاتيح الثلاثة لأوراد العمل: بالدخول فيها يتحقق للمسلم السلوك في مدرسة القرآن. ويرتقي أول مدارج المصلحين بحول الله. فيخرج بذلك من القول إلى العمل، إذ لا فائدة لحكم ليس يتحقق له مناط مطلقا في حياة الإنسان. وإنما جاء الدين ليكون حركة إنسانية

في الزمان والمكان، لا نصوصا تتلى فقط، ولا قصصا تحكى فحسب. وإنما الأمانة التي حملها الإنسان عَمَلٌ. ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: 105).

والإسلام لما بين بلاغاته للناس؛ بين لهم - فيما بين - وسائل الوصول إليها، وطرائق اكتساب صفاتها. فجعل لكل أصل عملا، ولكل عمل بابا، ولكل باب مفتاحا.

تبصرة في المفاتيح الثلاثة:

ومدار باب الخروج إلى العمل على ثلاثة مفاتيح، أو ثلاث خطوات، هي أصول لما سواها، نَسُكُّها في العبارات التالية:

1- **اغتنام المجالسات**
2- **والتزام الرباطات**
3- **وتبليغ الرسالات**

وبيان ذلك هو كما يلي:

الخطوة الأولى: في اغتنام المجالسات.

وهو أن تحرص على (**مجالس القرآن**)، قصد التعرف إلى الله والتعريف به، والتخلق بأخلاق رسول الله ﷺ والتحلم بحلمه. و(مجالس القرآن) هي خير أنواع (مجالس الذكر)، التي تضافرت الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ على أنها

محبوبة عند الله، مذكورة في ملئه الأعلى، تشهدها الملائكة، وتتزل عليها السكينة، وتغشاها الرحمة، ويذكـرها الله فيمن عنده. وليس شيء أفيد منها في تربـية الإنسان المسلم على الصلاح والفلاح. وهي من أهم الوسائل التربوية التي لا غبش فيها ولا غـبار، من حيث استنادها إلى الأدلة المتواترة بـالمعنى، عبر الأحاديث الوفيرة المستفيضة. نذكر منها الحديث المشهور، الذي رواه أبو هريرة مرفوعا إلى النبي ﷺ، والذي فيه: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم

الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده. ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[65].

وكذلك الحديث المتفق عليه، الذي رواه أبو هريرة أيضا، مرفوعا إلى النبي ﷺ قال: إن لله ملائكة سياحين في الأرض، فضلا عن كتاب الناس، يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجاتكم! فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ فيقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك. فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو

65 – رواه مسلم

رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدا، وأكثر لك تسبيحا. فيقول: فما يسألوني؟ فيقولون: يسألونك الجنة. فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها. فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ فيقولون: من النار. فيقول الله: هل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها. فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا، وأشد لها مخافة. فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم! فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان، ليس منهم، إنما جاء

لحاجة! فيقول: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم!)[66] والأحاديث في هذا المعنى كثير.

ومجالس القرآن هي للتدرب على الوظائف التالية:

أ– الاشتغال بالله تعرفا وتعريفا

ب – الاشتغال بالقرآن تبصرا وتبصيرا

ج– الاشتغال بالشمائل المحمدية تخلقا وتخليقا.

الخطوة الثانية: التزام الرباطات.
وذلك بعمران المساجد والتزام الجماعات؛ قصد شهود الأوقات واكتشاف الصلوات.

66 – متفق عليه

فالمقصود بـ(الرباطات) إذن: بيوت الله، حيثما كانت. ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (النور:36-38). ذلك ما سماه رسول الله ﷺ بـ(الرباط)، في الحديث الصحيح الذي قال فيه ﷺ: ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة.

فذلكم الرباط! فذلكم الرباط! فذلكم الرباط! [67]. فتدبر.. ثم أبصر!

ثم اجتهد أيها السائر المحب، والفتى المرابط: لتكون صلاتك صلاةً حقا. واحذر عليها من شيئين: نقر الغراب، وشرود البال. فإنما المرابط من رابط بقلبه ووجدانه، لا ببدنه فقط! وإنما غاية الرباط صلاح الصلاة، وإقامتها حق إقامتها. فإذا فسدت كان ذلك مضيعة للأعمار وسبيلا إلى النار! نعوذ بالله منها! فاجعل رباطك فضاء لعمران الصلاة. ابْنِهَا بناءً في قلبك ووجدانك، كما تبني حياتك لحظة لحظة، وحركة حركة! واجعل نصب عينيك معلمك رسول الله ﷺ

67 - رواه مالك في موطئه ومسلم في صحيحه.

يعلمك ويصلح لك، كما كان يصلح صلاة المسيء صلاته، بما ورد في الحديث الصحيح: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل المسجد. فدخل رجل فصلى. ثم جاء فسلم على رسول الله ﷺ. فرد رسول الله ﷺ. قال: ارجع فصل فإنك لم تصل! فرجع الرجل فصلى كما كان صلى. ثم جاء إلى النبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: "وعليك السلام" ثم قال: ارجع فصل فإنك لم تصل!" حتى فعل ذلك ثلاث مرات. فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، ما أحسن غير هذا! علمني! قال ﷺ: إذا قمت إلى الصلاة فكبر. ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن. ثم اركع حتى تطمئن راكعا. ثم ارفع حتى تعتدل قائما. ثم اسجد

حتى تطمئن ساجدا. ثم ارفع حتى تطمئن جالسا. ثم افعل ذلك في صلاتك كلها [68].

وقد ورد لهذا الحديث بيان عجيب في حديث آخر، فيه دلالة لطيفة على طلب الاطمئنان البدني والنفسي والاسترخاء العصبي: بما يكفل هدوء المصلي، وسكينته، ومرابطته الوجدانية. وذلك قوله ﷺ: إنه لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء، كما أمره الله. فيغسل وجهه، ويديه إلى المرفقين، ويمسح رأسه، ورجليه إلى الكعبين، ثم يكبر الله، ويحمده ويمجده، ويقرأ ما تيسر من القرآن مما علمه الله، وأذن له

68 - متفق عليه.

فيه، ثم يكبر فيركع، فيضع يديه على ركبتيه، ويركع حتى **تطمئن مفاصله وتسترخي..!** ثم يقول: سمع الله لمن حمده، فيستوي قائما حتى يأخذ كل عظم مأخذه، ويقيم صلبه، ثم يكبر فيسجد، فيمكّن جبهته من الأرض، **حتى تطمئن مفاصله وتسترخي!** ثم يكبر فيرفع رأسه، فيستوي قاعدا على مقعدته، فيقيم صلبه، ثم يكبر فيسجد حتى يُمكّن وجهه ويسترخي! **لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك!**[69].

فاحذر بعد هذا أن يقال لك يوم القيامة: صل! فإنك لم تصل! وأنى لك أن تصلي في يوم

[69]- رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: 2420

انقطعت فيه الأعمال؟ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: 88-89).

والرباط - بعد هذا وذاك - هو تمام القطيعة بينك وبين عالم المنكرات، وظلام الكبائر والموبقات. إن التزمته حقا كان لك حصنا حصينا من الانحراف والضياع، وسدا منيعا دون التردي والسقوط. وذلك قول الله عز وجل الصريح المليح: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت:45). فتدبر ثم أبصر!

الخطوة الثالثة: تبليغ الرسالات، بالقيام بالبلاغات، والدعوة إلى الخيرات.

وتبصرة هذا المفتاح هي: جواب (كيف البلاغ؟)

أما تأصيله فقد سبق تقريره بقواعده، في تبصرة البلاغ الخامس، من كتيبنا (بلاغ الرسالة القرآنية).

تبصرة: كيف البلاغ؟

ليس البلاغ اليوم في المسلمين بلاغ (خبر) هذا الدين. فذلك أمر قام به الأولون. وما بقي اليوم صقع في الأرض لم تبلغه قصة الرسالة الإسلامية، على الجملة. ثم إنما المقصود بمشروعنا هذا هو دار الإسلام. هذا العالم الإسلامي الذي لانَ فيه التدين، وضعف فيه التمسك بالكتاب، مع أنه يتلوه - أو يتلى عليه - كل حين.

إنما المسلمون اليوم في حاجة إلى (إبصار). إبصار الحقائق القرآنية التي تتلى عليهم صباح مساء، وهم عنها عمون، على نحو ما وصف الله سبحانه في قوله: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف:198)، وقوله سبحانه:

﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (يوسف:105).
فالبلاغ الذي نحن في حاجة إليه إنما هو بلاغ (التبصير)، لا بلاغ التخبير.

وأما مادته فما ذكرناه من أصول الرسالة القرآنية، وبلاغات القرآن: من اكتشاف القرآن العظيم، والتعرف إلى الله والتعريف به، واكتشاف الحياة الآخرة، واكتشاف الصلوات وحفظ الأوقات، وحقيقة الدعوة إلى الخير، وحكمة اتباع السنة؛ تزكية وتعلما وتحلما، ومفاتيح ذلك كله في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

فتلك الخطوات الثلاث هي مفاتيح العمل، لمن عقد العزيمة على السير إلى الله مُتعَرِّفاً ومُعَرِّفاً.

وتلك هي الأصول الدينية، التي تشكل المسالك الرئيسية؛ لسير العبد إلى الله في طريق التبصُّر والتَّبصير.

الفصل الخامس: في المختار من الأذكار

وهو أقسام:

أذكار من القرآن العظيم:

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[70]. آمين.

---

[70] - فضل سورة الفاتحة – عند من يبصرها – لا تداني في القرآن؛ ولا فيما سبقه من كتب! ويكفيها عظمةً وقدراً أن

الرَّحِــــيم بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ. ﴿أَلَمّ. ذَلِكَ الْكِتَبُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُومِنُونَ بِالْغَيْــبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَواةَ وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنفِقُونَ. والَّذِينَ يُومِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ

المسماة (أم القرآن)! وهي التي امتن الله بها على خليله المصطفى محمدﷺ في قوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِـيمَ)(الحجــر:87). ولذلك قال النبيﷺ (أم القرآن هي: السبع المثاني والقرآن العظيم) رواه البخاري. وأوضح منه قوله ﷺ: (والــذي نفسي بيده! ما أُنزِلَ في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الــزبور، ولا في الفــرقان مثلها! وإنها لسبع من المثاني والقــرآن العظيم الذي أعطيته!) رواه أحمد والترمذي عن أبي هريرة. وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 7079 في صحيح الجامع.

وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة:1-5)[71].

[71] - وعــن الشعبي قال: قال عبد الله - يعني ابن مسعود -: (مــن قرأ عشر آيات من سورة البقرة في بيت؛ لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح: أربع آيات من أولها وآية الكرســي، وآيــتين بعدها، وخواتيمها) رواه الطبراني. وقال الهيــثمي: (ورجاله رجال الصحيح، إلا أن الشعبي لم يسمع من ابــن مسعود) مجمع الزوائد، الحديث رقم: 17013، وسنأتي في ذلــك أحاديث أصح. وفضلا عن أنه قرآن متعبد بتلاوته؛ فقد صــح خصوص الذكر بذلك في أحاديث متناثرة منها ما رواه مســلم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: (بينما جبريل قاعد عــند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب مــن السماء فتح اليوم، ولم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك فقــال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب،

﴿اللَّهُ لاَ إِلَــهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. لاَ تَاخُذُهُ سِــنَةٌ وَلاَ نَــوْمٌ. لَّــهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ. مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ. يَعْلَمُ مَــا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ. وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّــنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء. وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. وَلاَ يَــؤُودُهُ حِفْظُهُــمَا وَهُــوَ الْعَــلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[72].

وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته!) يعني مما ورد فيهما من الدعاء. رَوَاهُ مُسلِمٌ.

[72] - لقد أقر النبيﷺ ما سمعه أبو هريرة ممن حدثه بليل إذ قال لــه: (إذا أويــت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم: "الله لا إله إلا هو الحي القيوم". وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح) رواه البخاري. وقــالﷺ: (من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه

﴿لاَ إِكْــرَاهَ فِــي الدِّينِ. قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَــيِّ. فَمَــن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُومِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَــكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا. وَاللَّهُ سَــمِيعٌ عَلِيمٌ. اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَــاتِ إِلَــى النُّوُرِ. وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّــاغُوتُ. يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ. أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: 255-257).

﴿لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ. وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ.

من دخول الجنة إلا أن يموت). رواه النسائي وابن حبان عن أبي أمامــة. تحقيق الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: 6464 في صحيح الجامع.

فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ. كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ. لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ. وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا. لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ. رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا. رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا. رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ. وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.(البقرة:284-286)[73].

[73]- هل تدري ما خواتيم البقرة؟ إنها آيات تلقاها رسول الله ﷺ وحيا في السماء ليلة الإسراء والمعراج! ففي صحيح مسلم عَنْ

عَبْدِ اللهِ قَالَ: (لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ. إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الأَرْضِ. فَيُقْبَضُ مِنْهَا. وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا. فَيُقْبَضُ مِنْهَا. قَالَ: "إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى" (النجم: 16). قَالَ: فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ: فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلاَثًا. أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ. وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ. وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئاً الْمُقْحِمَاتُ). رواه مسلم. وهل تبصر شيئا من أسرارها؟ تدبر إذن هذين الحديثين:

الأول: قول رسول الله ﷺ: (أُعْطِيتُ هذه الآيات من آخر سورة البقرة؛ من كنز تحت العرش، لم يعطها نبي قبلي!) رواه أحمد والطبراني والبيهقي عن حذيفة، ورواه أحمد عن أبي ذر. وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 1060 في صحيح الجامع.

والثاني: قوله ﷺ: (إن الله تعالى كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام! وهو عند العرش، وإنه أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها الشيطان!) رواه الترمذي والنسائي والحاكم عن النعمان

بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿أَلَمَّ. اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ. وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ. وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ. إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ. هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ. لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.(آل عمران:1-6)[74].

بن بشير. وصححه الألباني انظر حديث رقم: 1799 في صحيح الجامع.

[74]- قال رسول الله ﷺ: (اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور من القرآن: في البقرة، وآل عمران، وطه)

﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ. وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ. وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا. وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ. وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ. ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ

رواه ابن ماجه والطبراني والحاكم وصححه الألباني انظر حديث رقم: 979 في صحيح الجامع.

وقال أيضا: (اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: "وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم"(البقرة:163) وفاتحة آل عمران: "آلم الله لا إله إلا هو الحي القيوم"). رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وحسنه الألباني. انظر حديث رقم: 980 في صحيح الجامع.

لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى. ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام:60-61)[75].

﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾. (الأنعام: 164-165).

بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا. قَيِّمًا

[75]- هذه الآية أصل عظيم في التعريف بالله تعالى وتوحيده. فقد قال البخاري في صحيحه: (باب "وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو" (...) عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: مفاتح الغيب خمس: "إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير")(رواه البخاري).

لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ. وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا. مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا. وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا. مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ. كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا. فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا. إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً. وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا. أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا. إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا. فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا. ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا

لَبِثُوا أَمَدًا. نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ. إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى. وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا. هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً. لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ. فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا. وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ. فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾. (الكهف: 1-16).

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ. وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا

قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا. وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ. إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا. وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ. بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا﴾. (الكهف:28-29).

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ. وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا. وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا. الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا. أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء. إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا. قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ

فِـــي الْحَـــيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُـــنْعاً. أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ. فَحَبِطَـــتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا. ذَلِـــكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً. خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَـــبْغُونَ عَـــنْهَا حِـــوَلاً. قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـــاتِ رَبِّـــي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّـــي. وَلَـــوْ جِئْـــنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا. قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ. فَمَن كَانَ يَـــرْجُو لِقَـــاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ

بِعِـــبَادَةِ رَبِّـــهِ أَحَدًا﴾[76] (الكهف: 99- 110: النهاية.)

[76]- ســـورة الكهف عظيمة الفضل جدًا! وقد ورد في فضلها، وفي فضـــل أوائلها، وأواخرها؛ أحاديثُ كثيرة منها: قوله ﷺ: (مـــن حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجـــال!) رواه مسلم. وفي رواية عنده: (من آخر الكهف). ومـــن ذلك أيضا أن رسول الله ﷺ لما ذكر الدجال وحذر من فتنـــته قـــال ﷺ: (فمـــن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهـــف!) رواه مسلم. ومثله قوله ﷺ: (يا أيها الناس! إنها لم تكـــن فتنة على وجه الأرض – منذ ذرأ الله ذرية آدم – أعظم مـــن فتنة الدجال! وإن الله عز وجل لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال! وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالـــة! (...) وإن مـــن فتنته أن معه جنةً ونارًا، فناره جنة، وجنـــته نـــار! فمـــن ابتلي بناره فليستغث بالله! وليقرأ فواتح الكهـــف!) رواه ابـــن ماجه، وابن خزيمة، والحاكم، والضياء. وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: 7875.

وهـــي ســـورة تتنزل الملائكة على قارئها رحمةً وسكينةً! فعَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ. وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بِشَـــطَنَيْنِ [أي: بحبلين]. فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ. فَجَعَلَتْ تَدُورُ وَتَدْنُو. وَجَعَـــلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ مِنْهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ. فَذَكَرَ ذَلِكَ لَـــهُ. فَقَـــالَ: «تِلْكَ السَّكِينَةُ. تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ» متفق عليه. وقد وردت هـــذه القصـــة مفصلة عند مسلم فيما رواه أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ رضي الله عنه أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ رضي الله عنه، بَيْنَمَا هُـــوَ لَـــيْلَةً يَقْـــرَأُ فِي مِرْبَدِهِ؛ إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ. فَقَرَأَ؛ ثُمَّ جَالَتْ أُخْـــرَى! فَقَـــرَأَ؛ ثُمَّ جَالَتْ أَيْضاً! قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْـــيَى. [يعـــني ابنه الصغير] فَقُمْتُ إِلَيْهَا؛ فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي، فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ! [ج. سراج: وهي المصابيح] عَرَجَتْ فِـــي الْجَـــوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا! قَالَ فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْـــتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِـــرْبَدِي؛ إِذْ جَالَـــتْ فَرَسِي! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَأْ ابْنَ حُضَـــيْرٍ!» قَالَ: فَقَرَأْتُ؛ ثُمَّ جَالَتْ أَيْضاً! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ!» قَالَ: فَقَرَأْتُ؛ ثُمَّ جَالَتْ أَيْضاً! فَقَالَ رَسُولُ

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَـــن فِـــي الْأَرْضِ وَالشَّـــمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِـــبَالُ وَالشَّـــجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ.

اللَّهِ ﷺ: «اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ!» قَالَ: فَانْصَرَفْتُ. وَكَانَ يَحْيَى قَرِيباً مِـــنْهَا؛ خَشِيتُ أَنْ تَطَأَهُ. فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ. فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ. عَرَجَـــتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ! وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ، مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ!» رواه مسلم.

وقد صح فضل قراءتها من يوم الجمعة، في غداتها أو ليلتها، قال ﷺ: (مـــن قرأ سورة الكهف يوم الجمعة؛ أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق!) رواه البيهقي في السنن، وفي شعب الإيمان، ورواه الحـــاكم بلفـــظ قريب منه. وصححه الألباني في صحيح الجـــامع، رقـــم: 6471. ومثله قوله ﷺ أيضا: (من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين!) رواه الحاكم والبيهقي في السنن؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: 6470.

وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ. وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ. إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾. (سجدة)(الحج: 18)

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ. الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ. الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ. يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ. نُّورٌ عَلَى نُورٍ. يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ. وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ. وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ. يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ. لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ

أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ. وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. (النور: 35-37)

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ. إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ. إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ. وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى. وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ. وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾. (لقمان: 27-30)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ. وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

تَعْمَلُونَ. وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ. أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ. أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ. لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ. وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ. هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُومِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ. سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ. لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى.

يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. (الحشر: 18-24)[77].

بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ. لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ. وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[78].

---

[77] - يقول الله جل جلاله: (وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأعراف:180). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة. وهو وتر يحب الوتر) وفي رواية أخرى من الصحيح: (من أحصاها دخل الجنة) متفق عليه.

[78] - قال ﷺ: (إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ: "قل يا أيها الكافرون" ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك). رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم، ورواه البيهقي عن نوفل بن

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. (ثلاث مرات).

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ. مِن شَرِّ مَا خَلَقَ. وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ. وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ. وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾. (ثلاث مرات).

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. مَلِكِ النَّاسِ. إِلَهِ النَّاسِ. مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ

معاوية ، كما رواه النسائي والبغوي وابن قانع والضياء عن جبلة بن حارثة. وحسنه الألباني. انظر حديث رقم: 292 في صحيح الجامع.

الْخَنَّاسِ. الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ. مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾. (ثلاث مرات)[79].

[79]- قال النووي في كتاب الأذكار: (وروينا في سنن أبي داود والترمذي والنسائي وغيرهما بالأسانيد الصحيحة، عن عبد الله بن خُبيب – بضم الخاء المعجمة – رضي الله عنه قال: خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة، نطلب النبيﷺ ليصلي لنا فأدركناه، فقالﷺ: قُلْ! فلم أقل شيئاً، ثم قال: قُلْ! فلم أقل شيئاً، ثم قال: قُلْ! فقلت: يارسول الله! ما أقول؟ قال: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ؛ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ") قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

استغفار

اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ [80].

[80]- وفي صحيح البخاري عن شداد بن أوس رضي الله عنه، عن النبيﷺ قال: "سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ...إلخ (كما هو مذكور أعلاه) فقالﷺ بعدها: مَنْ قَالَهَا بِالنَّهَارِ مُوقِناً بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ" رواه البخاري.

أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه. (ثلاثا)[81].

[81]- يمكن لمن له متسع من الوقت أن يبلغ بها المائة إن شاء. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رَسُولَ اللَّهِﷺ يقول: (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر مِنْ سبعين مرة) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وقالﷺ: (استغفروا ربكم إني استغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة). رواه البغوي، وصححه الألباني. انظر حديث رقم : 944 في صحيح الجامع . وقال ﷺ: (إنه لَيُغَانُ على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة!) رواه مسلم. وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُولُ اللَّهِﷺ: (من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفرت ذنوبه وإن كان قد فرّ من الزحف!) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ والحاكم وقال حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني أيضا في صحيح الترمذي: 172/3.

تسبيح و تهليل

سبحانَ اللَّه وبحمده، عددَ خَلْقِه، ورضَى نفسِه، وزنَةَ عرشِه، ومدادَ كلماته. (ثلاث مرات)[82].

82- عن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنها أن النبيﷺ وَسَلَّم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقالﷺ: (ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟) قالت: نعم. فقال النبي: (لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: "سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته") رَوَاهُ مُسلِمٌ.

اللهُ أَكْبَرُ كَبِيراً، وَالْحَمْدُ للهِ كَثِيراً، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وأَصِيلاً. (ثلاثا)[83].

83- التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، تلك أربعة أنواع من الذكر متواترة عن رسول اللهﷺ، وذلك من خلال أحاديث كثيرة. منها قولهﷺ: قال رَسُول اللَّهﷺ: (لأن أقول: سبحان اللَّه، والحمد لله، ولا إله إلا اللَّه، والله أكبر؛ أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس!)(رَوَاهُ مُسلِمٌ). وقولهﷺ: (يصبح على كل سُلامَى من أحدكم صدقة. فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة. ويجزي من ذلك ركعتان تركعهما من الضحى) رواه مسلم. وروى أيضا عن النبيﷺ أنه قال: (أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. إنما هن أربع؛ فلا تزيدن عليَّ!) رواه مسلم. وقال رَسُول اللَّهﷺ في ذلك أيضا (لقيت إبراهيمﷺ ليلة أسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام! وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان اللَّه، والحمد لله، ولا إله إلا اللَّه، والله أكبر) رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

ومن ذلك أيضا قول النبيﷺ: (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ على اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ في المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحْمَنِ: "سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ") متفق عليه. ويمكن لك أن تبلغ في الذكر بها عدد المائة؛ للحديث الصحيح من قول النبيﷺ: (أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟ يسبح الله مائة تسبيحة؛ فيكتب الله له بها ألف حسنة! ويحط عنه بها ألف خطيئة!)(رواه مسلم). ومثله أيضا قولهﷺ: (من قال: "سُبْحَانَ اللَّه وبحمده" في يوم مائة مرة؛ حُطت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر!)(متفق عليه).

وأما الصيغة المختارة أعلاه فللحديث الصحيح الذي رواه ابنُ عُمَرَ قال رضي الله عنهما: «بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهﷺ إذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ اللهُ أَكْبَرُ كَبِيراً وَالْحَمْدُ للهِ كَثِيراً وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وأَصِيلاً. فقالَ رَسُولُ اللهِﷺ: مَنِ القَائِلُ كَذَا وَكَذَا؟ فقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ أنَا يَا رَسُولَ الله. قَالَ: عَجِبْتُ لَهَا فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ! قَالَ ابنُ عُمَرَ: مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهن مِنْ رَسُولِ اللهِﷺ». رواه مسلم.

وعن جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ("أَنَّهُ رَأَى رسولَ اللهِﷺ يُصَلِّي صَلاَةً. فقال: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيراً، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيراً، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيراً. وَالْحَمْدُ للهِ كَثِيراً، وَالْحَمْدُ للهِ كَثِيراً، وَالْحَمْدُ للهِ كَثِيراً.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. (عشر مرات)[84].

وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ثَلاثاً. أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ.) رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن حبان، والطبراني في الكبير.

84- وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (من قال: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير" في يوم مائة مرة؛ كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي! ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به؛ إلا أحد عمل عملا أكثر من ذلك!) متفق عليه.

الصلاة الإبراهيمية

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد (عشر مرات)[85].

85- هذه صيغة الصلاة الإبراهيمية، مختارة ومختصرة من عدة صيغ في الصحيحين وفي غيرهما. منها ما أخرجاه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبيﷺ؟ فقلت: بلى، فأهدها لي، فقال: سألنا رسول اللهﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهلَ البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم، قال: (قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ...إلخ) متفق عليه.

ولك أن تختصرها – إن شئت – هكذا:

وفضل الصلاة على سيدنا محمد عظيم جداء وهي مفتاح خير كبير، وقد وردت في ذلك أحاديث صحيحة كثيرة، منها قولهﷺ: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا)(رواه مسلم). وقولهﷺ: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات.) رواه أحمد، والبخاري في الأدب المفرد، والنسائي والحاكم، وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 6359 في صحيح الجامع. وقولهﷺ: (كل دعاء محجوب حتى يُصَلَّى على النبي صلى الله عليه وسلم وآل محمد!) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس، كما رواه البيهقي عن علي موقوفا. وحسنه الألباني. انظر حديث رقم: 4523 في صحيح الجامع. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، عن الرواية الموقوفة على عَلِيٍّ رضي الله عنه: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

(اللهم صل وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم: في العالمين، إنك حميد مجيد).(عشرا)

دعاء الصباح والمساء

أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين. والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. اللهم أني أسألك خير هذا اليوم، فتحَه ونصره ونورَه وبركتَه وهُدَاه. وأعوذ بك من شر ما فيه، وشر ما قبله، وشر ما بعده[86]. اللهم بك أصبحنا،

86- هذا الدعاء مركب من حديثين: **الأول** رواه مسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كان نبي اللهﷺ إذا أمسى قال: "أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه...إلخ" إلى أن قال: "وإذا أصبح قال ذلك أيضاً: "أصبحنا وأصبح الملك لله") رَوَاهُ مُسلِمٌ.

وبك أمسينا، وبك نحيا وبك نموت، وإليك المصير[87]. أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة

والثاني: رواه أبو داود قال: قالﷺ: (إذا أصبح أحدكم فليقل : أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين. اللهم أني أسألك خير هذا اليوم...إلخ، إلى أن قال: (ثم إذا أمسى فليقل مثل ذلك) وحسنه الألباني انظر حديث رقم: 352 في صحيح الجامع.

87- وقالﷺ: (إذا أصبح أحدكم فليقل : اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير. وإذا أمسى فليقل : اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور) رواه الترمذي عن أبي هريرة . وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير: انظر حديث رقم: 353.

الإخلاص، ودين نبينا محمدﷺ، وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما، وما كان من المشركين[88].

ثم تدعو بعد ذلك بدعائك الخاص، بما شئت من خيري الدنيا والآخرة، لنفسك وأهلك ولأمة المسلمين.

ثم تختم بقولك: (سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك)[89].

88- كان [النبيﷺ] إذا أصبح و إذا أمسى قال : "أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص...إلخ") رواه أحمد والطبراني ، وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 4674 في صحيح الجامع.

89- قال ﷺ: (كفارة المجلس أن يقول العبد : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك،

وليكن ذلك آخرَ كلامك بذلك المجلس. فتقوم إلى صالح أعمالك الأخرى، من أمور دينك ودنياك، بنية التوبة والطاعة.

أستغفرك وأتوب إليك.) رواه الطبراني عن ابن عمرو؛ وعن ابن مسعود. وصححه الألباني انظر حديث رقم: 4487 في صحيح الجامع. وفي رواية النسائي والحاكم أنه ﷺ قال: (فإن قالها في مجلس ذِكرٍ كانت كالطابع يطبع عليه! ومن قالها في مجلس لغو كانت كفارة له!) رواه النسائي والحاكم عن جبير بن مطعم، وصححه الشيخ الألباني. انظر حديث رقم: 6430 في صحيح الجامع.

تبصـرة

ولاتنس ثلاثة أدعية أساسية في اليوم والليلة، فإن المسلم يُحْفَظُ بها ويُسَدَّدُ: الأول دعاء الخروج من المترل، والثاني: دعاء النوم. والثالث: دعاء الاستيقاظ من النوم.

فأما دعاء الخروج: فهو قول النبيﷺ: باسْمِ اللَّه، تَوَكَّلْتُ على اللَّه، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّه. اللهم إنا نعوذ بك من أن نَزِلَّ، أو نَضِلَّ، أو نَظْلِمَ أو نُظْلَمَ، أو نَجْهَلَ أو يُجْهَلَ علينا! [90].

90- هذا الدعاء مركب من حديثين صحيحين: أولهما قول النبي ﷺ: (مَنْ قالَ – يعني إذا خرج من بيته – "باسْمِ اللَّه، تَوَكَّلْتُ على اللَّه، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّه"؛ يُقالُ لَهُ: كُفيتَ وَوُقيتَ

وأما دعاء النوم فهو أن يقول - بعد قراءة آية الكرسي-: باسمكَ ربي وضعتُ جنبي وبك

وَهُدِيتَ، وتنحَّى عنْهُ الشَّيطانُ" قال الترمذي: حديث حسن. زاد أبو داود في روايته "فيقول - يعني الشيطان لشيطان آخر - كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وكُفِيَ وَوُقِيَ؟" رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم: 499.

والحديث الذي رواه الترمذي عن أم سلمة، أنه ﷺ: (كان إذا خرج من بيته قال: "بسم الله، توكلت على الله. اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل أو نضل أو نظلم أو نظلم، أو نجهل أو يجهل علينا!) رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: 4708.

أرفعُه، إن أمسكتَ نفسي فارحمها، وإن أرسلتَها فاحْفَظْهَا بما تحفظ به عبادَك الصالحين [91].

وأما دعاء الاستيقاظ من النوم؛ فهو: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور [92].

91- قال النبي ﷺ: (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره؛ فإنه لا يدري ما خلفه عليه. ثم ليضطجع على شقه الأيمن، ثم ليقل: باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين!) متفق عليه.

92- أخرج الشيخان أنه ﷺ (كان إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده، ثم يقول: باسمك اللهم أحيا وباسمك أموت. وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور) متفق عليه.

تبصرة: في بُرَاقِ الأوراد

وهو الورد الصامت! يطير بك سرّاً في سبحات الروح! يطير بك عاليا، عاليا جدا! ثم.. سويعات فإذا أنت على أعتاب الولاية! مع أهل الله وخاصته، سبحانه جل علاه!

وأي وِرْدٍ أصدق على هذا المعنى من الصوم؟ ذلك هو بُرَاقُ الأوراد، ورافدها المتدفق على الوجدان بصمت!

تعددت النوافل وتشابهت في الخيرات، وتَفَرَّدَ الصومُ بِسِرِّ الانتساب الخالص إلى الله! وإذا بالعبد الصائم يدخل في مقام من مقامات العبودية، غير مقدرة بمكيال، ولا محصورة بحساب! مقام (عبد الله) المخلِص المخلَص! الذي

أخلص لله حق صفا؛ فأخلصه الله إليه؛ فكان من المخلَصين! وضربت المعاني بأجنحتها في عمق غيبٍ لا طاقة لأحد من الخلق على سبر أغواره! فتولى الله جل جلاله لذلك إحصاء تلك المعاني، في صحيفة عبده المخصوص؛ بما شاء وكما شاء، مما لا دراية لأحد من الملائكة الكَتَبَة به! [93] ولذلك قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى من الحديث القدسي: كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف! إلى ما شاء الله!

93- قال الإمام عبد الرؤوف المناوي في فيض القدير، عند شرح هذا الحديث: (وأنا أجزي به صاحبه جزاءً كثيراً، وأتولى الجزاء عليه بنفسي، فلا أكِلُه إلى مَلَكٍ مقرَّب، ولا غيره؛ لأنه سرٌّ بيني وبين عبدي، لا يطلع عليه غيري!) ص: 471.

قال الله عز وجل: إلا الصوم؛ فإنه لي! وأنا أجزي به! يَدَعُ شهوتَه وطعامَه من أجلي! [94].

فأن تكون من (الصائمين) حقا، معناه: أن تكون لله وبه! فإذا أنت: تسمع لا كما يسمع الناس! وتبصر لا كما يبصر الناس! قال الحبيب المصطفى ﷺ في الحديث القدسي: إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب! وما يتقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويدَه التي يبطش بها،

94- رواه مسلم.

ورجلَه التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه! [95].

النوافل شتى.. نعم؛ لكنَّ أصفاها موردا، وأخلصها مسلكا، وأقربها طريقا موصلة إلى ذلك المقام: هو الصوم! فهو بُرَاقُ الأوراد، أو الورد الصامت، الناطق بكل شيء، من الخير والجمال! إنه طريق سيار سريع؛ فلا تنس حظك منه! فأيامه لحظات تختلس من الدنيا! تمضي الدنيا وتفنى.. وتبقى أيامه ضحى ممتدا في الزمن الخالد!

الصوم، نعم؛ لكنْ هل أنت تعرفه؟ فتعرَّفْ عليه أولا! إنه تاج النوافل وزينتها، ومُخُّ أسرارها! تلك آيات الصوم تقرؤها، وتلك

95- رواه البخاري

أحاديثه تسردها؛ وذلك الانقطاع عن شهوتي البطن والفرج تعلنه؛ ولكن هل أنت تصوم؟

وإنما الصوم: ما تَحقَّقَ لك به الذِّكْرُ، وإلا فلا صوم! فهل أنت تصوم؟ اقرأ كلمات النبوة هذه، وتَدَبَّرْ، ثم أَبْصِرْ! قال رسول الله ﷺ: رُبَّ صائمٍ حَظُّهُ من صيامه الجوعُ والعَطَش! [96].

كيف الصوم الذي به يكون الذِّكْرُ إذن؟

هذه آية من بصائر الصوم في طريق الصائمين؛ لإدراك منبع الحِكْمَة، والتعرف على سرِّ تلك النعمة! آية قد لا تخطر بصيرتها ببال!

96- رواه الطبراني عن ابن عمر، ورواه أحمد، والحاكم، والبيهقي عن أبي هريرة. وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: 3490.

قال تعالى مخاطبا السيدة الكاملة، مريم الصِّدِّيقة: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ (مريم: 26). هكذا: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ : صمت مطلق وقطيعة تامة مع كل متكلم من الناس! نعم؛ ذلك حُكْمٌ مِنْ أحكام (شَرْعِ مَنْ قَبْلَنا) هو منسوخ بشريعتنا[97]، نعم؛ ولكنَّ الحكمةَ ما كانت لتُنسَخَ أبداً! وقد يُنسخ الحكمُ وتبقى مقاصده ثابتة، مستقرة في كل الدين إلى يوم الدين! وهذا منه. وإليك البيان!

97- قال ﷺ: (لا صُمَاتَ يومٍ إلى الليل!) رواه أبو داود، وصححه الألباني رقم: 7609 في صحيح الجامع.

لقد كان الصوم – ولم يزل في شريعتنا – انقطاعا وتبتلا إلى الله جل وعلا. إنه اشتغال به وحده دون سواه؛ ولذلك تُوَظَّفُ كل طاقات الجسم والنفس معا في العبادة، والتوجه إلى الله، بحيث لا تشتغل بطعام ولا بشراب ولا بجماع؛ حتى يرد الإذن بذلك من الرحمن! وتنقطع النفس عن كل كلام من اللغو والصَّخَب والرَّفَث[98]؛ حتى تصفو الكلمات بالفم طِيباً من الذكر، أو مما يخدمه من ضرورات الكسب الحلال؛ فيعيش المسلم بذلك لحظات يجد نفسه فيها كلها لله! ويكون الصائم إذن صامتا عن كل منازع

98– الصخب: الضجيج والصراخ. والرفث: فاحش الكلام وساقطه.

الشهوات، فلا كلام يصدر عنه إلا ما عبد الله به، أو خدم ذلك أصالة أو تبعا! تحقيقا لحكمة النبوة العظمى، إذْ قال ﷺ في بعض وصاياه: (عليك بحسن الخلق وطول الصمت! فوالذي نفسي بيده ما تجمل الخلائق بمثلهما!)[99] وصح من شمائله عليه الصلاة والسلام أنه (كان طويل الصمت قليل الضحك!)[100] ذلك سَمْتُ المنقطعين إلى الله، من الأنبياء والصديقين. ولاشك أن من مقاصد الصوم تدريب العبد على التخلق بأخلاق ذلك المقام. ولذلك قال رسول الله ﷺ: (ليس

99– رواه أبو يعلى، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في شعب الإيمان، وحسنه الألباني، رقم: 4048 في صحيح الجامع.

100– رواه أحمد وحسنه الألباني، رقم: 4822 في صحيح الجامع.

الصيام من الأكل والشرب! إنما الصيام من اللغو والرفث! فإن سابَّك أحدٌ، أو جهل عليك؛ فقل: إني صائم! إني صائم!)[101] إني صائم: بمعنى إني منقطع عن الخلق إلى رب الخلق! منقطعٌ أكلاً وشربا وشهوةً، ومنقطعٌ خَطْرَةً وفكرةً وعبارةً، ومنقطعٌ جسما ونفسا! فلم يبق مني شيء لغير الله! إني صائم! ويجمع ذلك كلَّه حديثُ الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى من الحديث القدسي، قال عليه الصلاة والسلام: (قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي! وأنا أجزي

101– رواه الحاكم، والبيهقي عن أبي هريرة. وصححه الألباني رقم: 5376 في صحيح الجامع.

به! والصيام جُنَّةٌ!)[102] وإذا كان يوم صوم أحدكم؛ فلا يرفث! ولا يصخب! وإن سابَّه أحد أو قاتله؛ فليقل: إني امرؤ صائم! والذي نفس محمد بيده! لَخَلُوفُ فَمِ الصائم[103] عند الله أطيب من ريح المسك!)[104] إنه انقطاع عن كل صخب أو صراخ أو ضجيج! وانقطاع عن كل جدل عقيم أو مراء يجر إلى ذلك، وانقطاع عن كل ما يمهد أو يُذَكِّر بالشهوات! ومن كان لله لم يكن لغيره! حال من الصمت – طيلة اليوم – عن كل ما لا يصب في بحر التعبد من الكلام. حال

102– جُنَّة: أي وقاية.

103– الخلوف: الرائحة الكريهة التي تخرج من فم الإنسان، بسبب الجوع والعطش!

104– متفق عليه.

من الاستسلام الكلي لله رب العالمين. حال من التوظيف الشامل لأعضاء البدن وأشجان النفس في حركة السير إلى الله. فأي ذِكْرٍ أَذْكَرُ من هذا، وأي فِكْرٍ؟ ذلك هو الصوم! فهل أنت تصوم؟

فليس عجبا أن يخصص الرب الكريم للصائمين - وللصائمين فقط - بابا من أبواب الجنة لا يدخل منه غيرهم! قال ﷺ: إن في الجنة بابا يقال له: الرَّيَّانُ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة. لا يدخل منه أحد غيرهم! يقال: أين الصائمون؟ فيقومون فيدخلون منه، فإذا دخلوا أُغلِقَ فلم يدخل منه أحد! (105).

105 – متفق عليه.

ونوافل الصوم في السنة الصحيحة كثير. إلا أن ما يمكنك التزامه من الصوم على سبيل الوِرْدِ الدائم هو: مسلكان اثنان. لك أن تختار منهما، ولك أن تجمع بينهما، ولك أن تزيد عليهما بما صح في سنة المصطفى ﷺ. لكن؛ بشرط ألا تثقل علَى نفسك بما يؤثر على فرائض العبادات سلبا، أو بما يؤدي إلى الفتور الكلي ثم الانقطاع! ولا تنس نصيحة رسول الله ﷺ: اكْلَفُوا من العمل ما تطيقون! فإن الله لا يمل حتى تملوا! وإن أحب العمل إلى الله تعالى أَدْوَمُه وإن قَلَّ! (106) زَوَّدَني

106 – رواه أحمد وأبو داود والنسائي . وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 1228 في صحيح الجامع.

الله وإياك بقوة العزائم في النفس وفي البدن! آمين.

فأما المسلك الأول: فهو صيام ثلاثة أيام من كل شهر. هي الأيام البيض من الأشهر العربية، حيث تكتمل دورة البدر في السماء. وهي: أيام ثلاثة عشر، وأربعة عشر، وخمسة عشر. فقد قال رسول الله ﷺ: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، ورمضان إلى رمضان: صوم الدهر وإفطاره! (107) وقال أيضا: صوم شهر الصبر، وثلاثة أيام من كل شهر: صوم الدهر! (108) وجاء ذلك

107 – رواه مسلم

108 – رواه أحمد والبيهقي عن أبي هريرة. وصححه الألباني، رقم: 3803 في صحيح الجامع.

مفسرا في حديث آخر بتفصيل، وهو قوله ﷺ: صيام ثلاثة أيام من كل شهر: صيام الدهر! وهي أيام البيض: صبيحة ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة. (109) وقد صح أنه عليه الصلاة والسلام كان يلتزمها وردا تعبديا. فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه ﷺ كان لا يدع صوم أيام البيض في سفر ولا حضر! (110).

وأما المسلك الثاني فهو: صوم الاثنين والخميس من كل أسبوع، كليهما أو أحدهما، على حسب قدرتك. فقد ثبت قوله ﷺ: تعرض

109 – رواه النسائي، وأبو يعلى، والبيهقي عن جرير. وحسنه الألباني، رقم: 3849 في صحيح الجامع.

110 – رواه الطبراني؛ وصححه الألباني، رقم: 4848 في صحيح الجامع.

الأعمال يوم الاثنين والخميس؛ فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم! [111] **وقد تواتر أن النبيﷺ كان يلتزم ذلك التزاما! فقد صح أنهﷺ: كان يتحرى صيام الاثنين و الخميس!** [112] **وفي حديث آخر أنه عليه الصلاة والسلام: (كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس؛ فقيل له؟ [أي سئل عن سبب ذلك] فقالﷺ: الأعمال تعرض كل**

[111]- رواه النسائي عن أبي هريرة. وصححه الألباني، رقم: 2959 في صحيح الجامع.

[112]- رواه الترمذي والنسائي عن عائشة. وصححه الألباني، رقم: 4897 في صحيح الجامع.

اثنين وخميس؛ فيغفر لكل مسلم إلا المتهاجرين، فيقول: أخروهما! [113].

[113]- رواه أحمد عن أبي هريرة. وصححه الألباني، رقم: 4804 في صحيح الجامع.

تبصرة: في صوم الْمُقِلِّين السابقين!

فإن لم تستطع التزام ورد من المسلكين المذكورين؛ لعلة تتعلق بالبدن، أو بطبيعة العمل المهني؛ **فلكَ عِوَضٌ عنهما عظيم! وذلك باغتنام** فرص العمر العابرة، من صيام النوافل السنوية الكبرى. من مثل صيام يوم عرفة، ويوم عاشوراء، **فقد صح فيهما قول الرسول ﷺ: صوم يوم** عرفة يكفر سنتين: ماضية ومستقبلة! وصوم عاشوراء يكفر سنة ماضية! [114] **فمن التزمهما معا، أو أحدهما؛ وِرْدا لكل سنة؛ كان – بعملية حسابية – كمن صام الدهر كله! ولك أيضا في صيام ستة أيام من شهر شوال، بعد**

[114]- رواه مسلم.

صيام ستة أيام من شهر شوال، بعد رمضان من **كل سنة النتيجة عينها وربما أعظم! فقد** صح قول **الرسولﷺ الصريح المليح: من صام** رمضان، **وأتبعه ستا من شوال كان كصوم الدهر!** [115]

ذلك إذن؛ هو الصوم؛ فَلَكُ السير العجيب! **بُرَاقُ الأوراد، وواردها** السري، وذِكْرُها **الصَّامت! حيث يُعبد الله بالترك لا** بالفعل! وما **أشد الترك على النفس وما أعصاه!** لو تدري يا **أيها السالك المحب! أن تترك ما تترك** لله؛ يعني **أنك صرت من أهله!** [116] **فاجعل على** أورادك

[115]- رواه مسلم وأحمد وأصحاب السنن الأربعة.

[116]- يجوز استعمال عبارة (أهل الله وخاصته)؛ لما ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه؛ عن النبيﷺ، قال: (إن لله تعالى أهلين من الناس: أهل القرآن هم

تاجــا من الصوم مهما قلّ؛ تختصر الطريق إلى الله فــتكن مــن أهــل الرّيّان، متفردا مع الصديقين والربانيين!

أهل الله، وخاصته!) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير:2165.

خاتمة

وخاتمة الكلام -يا أخي- فاتحةُ عَمَلٍ لي ولك إن شــاء الله. إذْ تَحَصَّل لك من هذا الميثاق ثلاثة عهود:

العهد الأول: وِرْدُ الذِّكر

والعهد الثاني: وِرْدُ القرآن والقيام

والعهــد الثالــث: وِرْدُ البلاغ. وهو ثلاثة مسالك: أولها المرابطة للصلوات، وثانيها مدارسة القرآن، وثالثها بلاغ حقائق الإيمان في الناس.

فــتعهد نفســك - أيهــا السالك المحب - وأصحابَك بالقرآن تَدبُّراً، وبَلاغاً. فإن لم تجد لك

مجلسا قرآنيا؛ فَأَوْجِدْهُ، فإن لم تتمكن فاسلك ورد القرآن فرداً، ذاكرا ومتدبراً.

واحــرص عــلى ختمة العمر! وذلك بختم القــرآن مدارســةً. حتى يكون لك ذِكْرُه - بعد ذلك - سياحةً في ملكوت الرحمن، وغذاءً متدفقا على الجنان، يحيى به القلب أبدا.

واجــتهد لبلاغ الخير في الأمة؛ واجْعَلْ لك رفقــة مــن التائــبين؛ ولْتَغرسْ لك ولهم جذورا بــرياض المســجد، ليســتقيم لك رباط الصلاة صــحبةً. فهو خير لك من الدنيا وما فيها! وبهذا يــتم تناسل الخير في الأمة. فتحاسب نفسك كل يوم؛ عن جديد صنعك من ذلك.

فآل الأمر إذن إلى ثلاثة أعمال، هي مرجعك للمحاســبة والتقويم: رباط الصلاة، وورد القرآن والأذكــار، ثم مجلس القرآن. إذا وَاثَقتَ عهدك عليها كانت هي ميزان الصدق والوفاء، لعهد الله وميثاقه. فهل وفيت؟

فاثبــت على عملك الصالح، ولا تنقطع عن الخــير! ففي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كَانَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا عَمِلُوا عَمَلاً أَثْبَتُوهُ)[117]. أي: أداموه والتزموه!

ولــيكن مشربُك من هذا كله موردَ السلف الصــالح عقــيدةً صــافيةً، وسلوكا ربانيا، تزينه الــتقوى، ويجلله الورع. ذلك أن ميدان الذِّكر،

117 - رواه مسلم.

وطريق السير إلى الله، كان منذ القديم مزلقا حرجا، زلت بقممه أقدام، وتاهت في مسالكه أقلام! لمَا زينه الشيطان خدعةً واستدراجا، لبعض جهلة العباد، من مخالفة السنة والارتماء في مستنقعات البدع والخرافات.

فالحَذَرَ الحَذَر! مما لا دليل عليه من كتاب الله وسنة رسول الله. فإنما الأوراد عبادات. وقد عُلِمَ في أصول الفقه: أن مثل هذه الأمور تؤخذ بالقاعدة الشرعية القاضية بأن (الأصل في العبادات المنع حتى يرد الإذن! وأن الأصل في العادات الإذن حتى يرد المنع!)

ثم اعلم بعد هذا كله أنه لن ينفعك من عملك الصحيح ظاهرا؛ إلا ما خلص لله الواحد

القهار باطنا! فاحذر أن تكون من الأخسرين أعمالا، ممن وصف الله جل وعلا في القرآن العظيم: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)(الكهف:103-104) فابك على خطيئتك، وفكر في مصيرك، فإن كل آت قريب. والعاقبة للمتقين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(آل عمران:200).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وكتبه بمكناسة الزيتون فريد بن الحسن الأنصاري الخزرجي عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ولسائر المسلمين، وكان تمام تصنيفه وتنقيحه بحمد الله يوم الأحد: 21 ربيع الثاني 1424هـ/ 22/06/ 2003م.

فهرس المحتويات

انتهى بحمد الله.